

الفوز الكبير

في أصول التفسير

كتبه بالفارسية
الإمام الشيخ المحدث أحمد بن عبد الرحيم الدعوى

ب- الشاه ولي الله الدهلوي رَحِمَهُ اللهُ

١١١٤هـ - ١١٧٦هـ

نقله إلى العربية وعلق عليه

سعيد أحمد البالن بوري حَفِظَهُ اللهُ

شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند

طبعة جديدة صحيحة ملونة

مكتبة التبشيري

كراتشي - باكستان

الفوائد الكبير

في أصول التفسير

كتبه بالفارسية

الإمام الشيخ المحدث أحمد بن عبد الرحيم المدعو بـ

الشاہ ولی اللہ الدہلوی رَحِمَہُ اللہُ

١١١٤ھ - ١١٧٦ھ

نقله إلى العربية وعلق عليه

سعيد أحمد البالن بوري حَفِظَہُ اللہُ

شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند

طبعة جديدة صحيحة ملونة



اسم الكتاب : الفوز الكبير في أصول التفسير

تأليف : الشاه ولي الله الدهلوي رحمته الله

الطبعة الأولى : ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ء

الطبعة الجديدة : ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ء

عدد الصفحات : ١١٤

السعر : =/60 روبية

مكتبة البشرا

للطباعة والنشر والتوزيع

AL-BUSHRA PUBLISHERS

Choudhri Mohammad Ali Charitable
Trust (Regd.)

Z-3, Overseas Bungalows Gulistan-e-Jouhar,
Karachi- Pakistan

الهاتف : +92-21-34541739, +92-21-37740738

الفاكس : +92-21-34023113

الموقع على الإنترنت : www.maktaba-tul-bushra.com.pk

www.ibnabbasaisha.edu.pk

البريد الإلكتروني : al-bushra@cyber.net.pk

يطلب من

مكتبة البشرا، كراتشي، باكستان +92-321-2196170

مكتبة الحرمين، اردو بازار، لاهور. +92-321-4399313

المصباح، ١٦- اردو بازار، لاهور. +92-42-7124656, 7223210

بك لينڈ، سٹی پلازہ کالج روڈ، راولپنڈی. +92-51-5773341, 5557926

دار الإخلاص، نزد قصہ خوانی بازار، پشاور. +92-91-2567539

مكتبة رشيدية، سرکي روڈ، کوئٹہ. +92-333-7825484

وأيضاً يوجد عند جميع المكتبات المشهورة

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم هدى للناس، وأرسل رسوله ليبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون تحت ضوء بيانه وتوجيهه.

كان شوق السلف إلى علم القرآن كبيراً، ولذا نسمع يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته". فقام علماء هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ببيان المنهج القويم لتدبر القرآن وتفهمه من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، فما نجد في كتب التفسير من كلام الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في أصول التفسير، أو رد الزائغين عن اتباع المتشاهات خير دليل على ما قلناه، ومن أمثال ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه". وغير ذلك كثير عنه وعن غيره.

ثم انتهج العلماء بعدهم على منهاجهم في بيان الحق والصواب، ورد الباطل والزيف في هذا المجال، وأودعت جهودهم وتجاربهم في هذا المجال في الكتب؛ لتكون منارة هدى لمن يأتي بعدهم، وهكذا سنة الله في علماء هذه الأمة أنهم كلما وجدوا حاجباً نفسياً أو حاجزاً خارجياً للناس من الاستفادة من معين القرآن الصافي وفهمه وتدبره بسبب العوامل التي هي مشروحة في محلها أراحوا تلك الحجب والموانع ببيانهم الساطع، بإيجاز أحياناً وبإطناب أخرى، حسب الظروف والحاجات، وردوا الأمة إلى المحجة البيضاء في تفسير القرآن، وجهودهم في رد الأمة إلى القرآن مباركة مثمرة ومستمرة في كل زمان ومكان.

ومن تلك الجهود المباركة جهد شيخ مشايخ الهند الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمته الله، وقد قضى حياته في رد المسلمين إلى القرآن والسنة من جديد، وبذل في هذه السبيل كل ما أوتي من العلم والطاقة، وصنف كتباً ناجعة عديدة، ومن مؤلفاته رسالته الوجيزة في أصول التفسير المسمى بـ "الفوز الكبير"، وقد عرّف عنها في مقدمتها فأغنانا عن الإسهاب، فهي في الحقيقة لب الباب في أصول التفسير، بحيث إذا أتقن الطالب دراستها وأودعها في سويداء قلبه فتح له باب تفسير القرآن، وانحلت له الإشكالات الكثيرة التي سببها عدم المناسبة بأسلوب القرآن، ومقاصده من جانب والكلام المسهب من قبل بعض المفسرين، بحيث يتيه المبتدئ، ولا يعرف ما يؤخذ وما يترك من جانب آخر، فهي حقاً مصداق "ما قل ودل"، ومن ثم اختارها علماء شبه القارة في منهجهم الدراسي.

وإن **مكتبة البشرى** من صميم أهدافها طبع الكتب الدراسية طبق متطلبات العصر كتبة وترصيفا وطباعة وإخراجا، فقد خطونا في هذا المجال خطوة واسعة بتوفيق الله وكرمه، ثم بجهود الإخوة الباذلين ما في وسعهم، لتقدم الكتب في أفضل حلة وأحسن طباعة، فالآن نقدم للقراء الفضلاء هذه الرسالة الفريدة في بابها بترجمتها باللغة العربية لشيخ الحديث بـ دار العلوم ديوبند "مولانا سعيد أحمد البالنوري" حفظه الله تعالى، راجين الله أن تقع موقع القبول عنده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وإليك أيها القارئ منهجنا في هذا الكتاب:

- بذلنا مجهودنا في تصحيح الأخطاء الإملائية.
- وراعينا قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، مع توزيع العبارات في الفقرات.
- وزدنا عناوين المباحث على رأس كل صفحة.
- وقمنا بتحلية سائر العناوين والنصوص القرآنية وأقوال النبي ﷺ خاصة باللون الأحمر.
- وجعلنا وظيفتنا أن نشكل ما يلتبس أو يستشكل على إخواننا الطلبة.

ونختاما هذا جهدنا بين يدي القراء الكرام فإن وفقنا فيه فالفضل لله وحده وإن كان غير ذلك فالخطأ لا يخلو منه البشر، والحمد لله بدايةً ونهايةً.

إدارة مكتبة البشرى

كراتشي باكستان

١٤ ربيع الأول ١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاجة إلى تهذيب التعريب

الحمد لله حمدَ الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: "الفوز الكبير في أصول التفسير" صنّفه الإمام ولي الله ﷺ لطلّبة العلوم الإسلامية بلغة فارسية محلّية حينذاك، وكان الكتاب موجزاً مختصراً، فكان يدرّس بدّوره طول حياته، ثم بعده ﷺ لا يزال يُدرّس في المدارس الإسلامية؛ لأن الكتاب وإن كان صغير الحجم، ولكنه أجدى من تفاريق العصا، وأنفع من الغيث في أوانه.

ومضى على تصنيفه زمن طويل، والطلاب يقرؤونه برغبة تامة، واهتمام بالغ في أرجاء الهند؛ لأن اللغة الفارسية كانت رائجة في الهند، فلما انقضى عصرها بالهند أحسّ عالم هندي بحاجة البلاد، فترجمه إلى اللغة العربية، وأخفى اسمه، ونسب ذلك الترجمة إلى الشيخ محمد منير الدمشقي، صاحب المطبعة المنيرية الشهيرة بدمشق، ولكن كان في الترجمة هُجْنَة وسقط وغموض وتسامح في مواضع عديدة، وكانت الحاجة ماسّة إلى تهذيب الترجمة.

وقبل ربع قرن خدمت الكتاب بشرحي "العون الكبير"، فأحسستُ حينذاك بالخلل، وشعرت بحاجة إلى مقابلة الترجمة بالأصل الفارسي، فقمت بهذا الواجب حيثما وجدت الغموض في التعبير أو الخلل في العبارة، أو التسامح في أداء الغرض، ونبهت عليه في الشرح، ووضعت الترجمة الصحيحة في الشرح ولم أغير أصل الكتاب.

ولا يزال العون الكبير يُطبع من سبائك حديدية، حتى ذهب رُؤاؤها وهماؤها، فأردت طبع الكتاب بالكمبيوتر، فنظرت في الكتاب مرة أخرى فلم يعجبني الأسلوب، ووقفت في أثناء ذلك على

أخطاء كثيرة جديدة، فمست الحاجة إلى المراجعة مرة أخرى.

وكذلك القائمون بتدريس الكتاب في دارالعلوم ديوبند، وكذا في الدُّور الأخرى في البلاد، أصروا عليّ مرات وكرات أن أقوم بتهذيب التعريب وتوضيحه، فقامت بواجبي - بتوفيق المليك الوهاب - نحو الكتاب، وأفرغت الجهد في تحرير الترجمة، وجعلت الترجمة القديمة أصلاً، وغيّرت العبارة في مواضع الضرورة، وعلّقت في مواضع الحاجة بالاختصار، فمن يريد التفصيل فليرجع إلى شرحي "العون الكبير"، وكذا رقت الكتاب وَعَنَوْنَتْهُ من جديد، والحمد لله.

وأخيراً أعتذر إلى الأساتذة البارعين الشارحين للكتاب باللغة الأردوية، وأتمس منهم أن يغيروا شروحهم طبقاً هذه الترجمة المهدّبة، وكذا إلى قراء العربية من خلط الأردو بالعربي في بعض التعليقات؛ لأن ذلك لتزويد الناشئين، تقبّل الله مساعينا لصالح دينه القويم، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

سعيد أحمد البالن بوري

— ١٤١٨/٣/١٧ هـ —

ترجمة الإمام المصنف

في سطور

هو أبو عبد العزيز قطب الدين ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، وُلد في عهد عالمگیر سنة ١١١٤ هـ، وتوفي إلى رحمة الله في المحرم سنة ١١٧٦ هـ بمدينة دهلي. كان رحمه الله من عباقرة الهند، ومن يُشار إليهم بالبنان:

العالم الفاضل التحرير، أفضل من بث العلوم فأروى كل ظمآن، أحيا الله به وبأولاده وبتلاميذه، ثم بتلاميذهم، الحديث والسنة بالهند، وعلى كتبه وأسانيده المدار في الديار الهندية، فمثله كمثل شجرة طوبى، أصلها في بيته وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين.

وقد صنف الإمام ولي الله في العلوم كلها، لاسيما في الحديث والتفسير وأصولهما، وتصانيفه تشهد بعلو كعبه وتبحره وغزارة علمه وسعة نظره في العلوم الشرعية عن آخرها، ولنذكر هنا بعضها:

(١) ترجم الفرقان الحميد إلى اللغة الفارسية على شاکلة النظم العربي في قدر الكلام، وخصوص اللفظ وعمومه، أسماها بفتح الرحمن.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير بالفارسية، وهذا الكتاب تعريبه.

(٣) المسوّى شرح الموطأ (بالعربية).

(٤) المصفى شرح الموطأ (بالفارسية).

(٥) الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد.

(٦) حجة الله البالغة في أصول الدين وعلم أسرار الشريعة، وهو كتاب فريد في بابه، لم يسبقه مثله، ولم يُنسج على منواله بعده.

(٧) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد.

(٨) الإنصاف في بيان سبب الاختلاف.

(٩) المقدمة السنّية في انتصار الفرقة السنّية.

(١٠) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، وهو كتاب مائع عديم النظر في بابه.

(١١) قرة العينين في تفضيل الشيخين.

(١٢) التفهيمات الإلهية، وغير ذلك من الكتب المفيدة التي بلغ عددها إلى خمسين كتاباً.

وكان رحمه الله على مذهب أبي حنيفة رحمه الله لا يخرج في العمل عنه قيد شبر، وأما في الدرس والتصنيف فكان طلقاً حر البحث، كما كتب هو بنفسه في آخر نسخة "صحيح البخاري"، المحفوظة بمكتبة خدا بخش بعظيم آباد (پٹنہ)، ونصّه: "كتبه بيده الفقير إلى رحمة الله الكريم الودود ولي الله أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور بن أحمد بن محمود - عفا الله عنه وعنهم، وألحقه وإياهم بأسلافهم الصالحين - العمري نسباً، الدهلوي وطناً، الأشعري عقيدةً، الصوفي طريقةً، الحنفي عملاً، والحنفي الشافعي تدريساً، خادم التفسير والحديث والفقه والعربية والكلام، وله في كل ذلك تصانيف، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ذي الجلال والإكرام، وكان ذلك يوم الثلاثاء لثالث وعشرين من شوال سنة ١١٥٩ هـ".

وكذا لكونه حنفيّاً قرائنٌ عديدةٌ مصرّحةٌ ومستنبطةٌ من كتبه، ليس هذا محلّ بياها.

علم التفسير

التفسير لغة: الإيضاح والتبيين.

واصطلاحاً: علم يُبحث فيه عن القرآن المجيد من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

فخرج علم القراءات، فإنه علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث ضبط ألفاظه، وكيفية أدائها، وقولنا: "بقدر الطاقة البشرية" لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات ولا عدم العلم بمراد الله تعالى في الواقع ونفس الأمر.

وموضوعه: كلام الله تعالى من حيث دلالاته على مراد الله تعالى.

وغرضه: الاهتداء بهداية الله تعالى، والتمسك بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الأبدية.

وفضائله: كثيرة، منها:

١- تكفل الله تعالى بنفسه ببيان كلامه الشريف، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٩) فالله تعالى هو المفسر الأول لكلامه القديم، وكفى به فضيلةً.

٢- جعل تفسير القرآن الكريم وظيفة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحل: ٤٤) فبينه ﷺ بقوله وفعله، فهو المفسر الثاني لكتاب الله المثاني، وكفى به قدوةً.

٣- دعا النبي ﷺ لابن عمّه عبد الله بن عباس رضيهما، فقال: "اللهم علّمهُ الْكِتَابَ" (رواه البخاري)، وفي رواية: "اللهم علّمهُ التَّأْوِيلَ" (رواه الحاكم)، وشهد بلباقته وعَبْقَرِيَّتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: "نِعَمْ تَرَجَمَانَ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ" (رواه الحاكم)، فهل فوق ذلك من فخر؟

٤- وجعل خير الناس من تعلّم القرآن وعلمه الناس، هذا عام لألفاظ القرآن ومعانيه، بل هو أولى، وَنَاهِيكَ بِهِ مِنْ عُلْيَاءَ.

تفسير و تأويل: هما بمعنى واحد عند المتقدمين، وأما عند المتأخرين فقال الإمام أبو منصور الماتريدي:

التفسير: القطع بأن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه.

والتأويل: ترجيح أحد احتمالات بدون القطع والشهادة على الله (راجع التفسير ص ١١١).

التفسير بالرأي: هو التفسير باهوى، والتفسير من عند نفسه بحيث يوجب تغيير مسألة إجماعية قطعية، أو تبديلاً في عقيدة السلف المجمع عليها، وأما التفسير بالدليل والقرينة فهو تفسير صحيح معتبر في الشرع، ومن يطالع كتب التفسير يجدها مشحونة بمثل هذه التفسيرات، فلا ضير فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

آلاءُ الله تعالى على هذا العدد الضعيف لا تُعدُّ ولا تُحصى، وأجلُّها التوفيق لفهم القرآن العظيم. ومنَّ صاحب النبوة والرسالة ﷺ وعلى أحقر الأمة كثرة، وأعظمها تبليغه ﷺ الفرقانَ الكريم، لقنَ النبي ﷺ القرآنَ الجليلَ الأول، وهم أبلعوه للجيل الثاني وهلمَّ جرَّاً، حتى بلغ هذا الضعيف أيضاً حظَّ من روايته ودرايته.

اللهم صلِّ على هذا النبي الكريم سيِّدنا ومولانا وشفيعنا أفضلَ صلواتك، وأمنَ بركاتك، وعلى آله وأصحابه، وعلماء أمته أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد فيقول الفقير ولي الله بن عبد الرحيم - عاملها الله تعالى بلطفه العظيم - : لما فتح الله تعالى عليَّ باباً من فهم كتابه المجيد، خطر ببالي أن أجمع وأقيد بعضَ النكاتِ النافعة التي تنفع الأصحاب في رسالة مختصرة، والمرجوُّ من لطف الله الذي لا انتهاء له ، أن يفتح لطلبة العلم مجرد فهم هذه القواعد شارحاً واسعاً في فهم معاني كتاب الله، بحيث لو صرفوا عُمْرُهم في مطالعة التفاسير، والقراءة على المفسرين على أنهم أقلُّ قليلٍ في هذا الزمان، لم تتحصَّل لهم هذه الفوائد بهذا الضغط والربط. وسَمَّيتها بـ "الفوز الكبير في أصول التفسير"، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلتُ، وهو حسبي، ونعم الوكيل.

آلاءُ: جمع الإلي، والإلى، والآلى: النعمة. ومنَّ: جمع المنة: الإحسان. لقنَ: لقَّنه الكلام: فهِمه إياه مشافهة. الجيل الأول هم أصحاب النبي ﷺ للجيل الثاني: هم جماعة التابعين. هلمَّ جرَّاً: تعبير يقال لاستدامة الأمر واتصاله. النكات: جمع النكتة، وهي المسألة العلمية اللطيفة، التي أخرجت بدقة نظر، وإمعان فكر، والمراد بها هنا: الفوائد النافعة.

ومقاصد هذه الرسالة منحصرة في خمسة أبواب:

١- بيان العلوم الخمسة، التي يدلُّ عليها القرآن العظيم نصًّا، وكأنَّ نزولَ القرآن بالإصالة كان لهذا الغرض.

٢- بيان وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بالنسبة إلى أهل هذا العصر، وإزالة ذلك الخفاء بأوضح بيان.

٣- بيان لطائف نظم القرآن، وشرح أسلوبه البديع، بقدر الطاقة والإمكان.

٤- بيان مناهج التفسير، وتوضيح الاختلاف الواقع في تفاسير الصحابة والتابعين.

٥- ذكر جملةٍ صالحةٍ من شرح غريب القرآن، وأسباب النزول التي يجب حفظها على المفسر، ويمتنع ويحرم الخوض في كتاب الله بدونها.

الباب الأول

في بيان العلوم الخمسة التي يدل عليها القرآن العصيم بصاً

ليُعلم أن معاني القرآن المنصوصة لا تخرج عن خمسة علوم:

١ **علم الأحكام** وهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات، أو من قسم المعاملات، أو من تدبير المنزل، أو من السياسة المدنية. وتفصيل هذا العلم منوط بذمة الفقيه.

٢ **علم حدس** وهو حاجة مع الفرق الأربع الضالة من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، وتبيان هذا العلم منوط بذمة المتكلم.

٣ **علم التذكير** - لا - الله وهو بيان خلق السماوات والأرض وإلزام العباد ما يحتاجون إليه، وبيان صفات الله الكاملة.

٤ **علم سذكر** - بأيام الله. وهو بيان الوقائع التي أخذتها الله سبحانه وتعالى من قبيل تنعيم المطيعين، وتعذيب المجرمين.

٥ **علم سذكر** - من الحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار. وتفصيل هذه العلوم الثلاثة، وذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بها يرجع إلى الواعظ والمذكر.

المعاملات مسائل باحثة عن كيفية إقامة المعادلات والمعاونات، والاكتسابات فيما بين الناس (فن معاملات: ده علم ہے جس میں ترقی یافتہ تمدن یعنی شہری زندگی میں تبادلہ اشیاء تعاون باہمی اور ذرائع معاش کو وجود میں لانے کی صورتوں سے بحث کی جاتی ہے). **تدبیر المنزل** حکمت باحثة عن كيفية حفظ الربط الواقع بين أهل المنزل (فن تدبیر منزل: ده علم ہے جو ترقی یافتہ تمدن میں خاندانی تعلقات کی نگہداشت سے بحث کرتا ہے). **السیاسة المدنية** حکمت باحثة عن كيفية حفظ الربط الواقع بين أهل المدينة (سیاست المدینہ یعنی انتظام مملکت، یہ وہ فن ہے جس میں کسی ایک شہر یا ایک ملک کے لوگوں کے درمیان ربط و تعلق کو محفوظ رکھنے کے طریقوں سے بحث کی جاتی ہے). والمراد من المدینة: جماعة متقاربة تحرى بیسهم المعاملات ویكونون أهل مآزل شتی. **مروط** المعلق، يقال: هذا مروط به أى معلق به.

علم التذكير ذکرہ الشیء وبالشیء: جمعه یذکره، و ذکر القوم: وعطهم. **بأيام الله** نعمه ونعمه كقصص الأنبياء وأقوامهم، وأيام العرب: حروبهم وملاحمهم كيوم ذي قار، ويوم الفجار.

أسلوب القرآن الكريم في عرض العلوم الخمسة:

وإنما وقع بيان هذه العنود على أسلوب العرب الأولين، لا على منهاج العلماء المتأخرين، فلم يلتزم سبحانه وتعالى في آيات الأحكام اختصاراً يختاره أهل المتون، ولا تنقيح القواعد من قيود غير ضرورية، كما هو صِاعة الأصوليين، واختار سبحانه وتعالى في آيات المخاصمة إلزام الخصم بالمشهورات المسلّمة والخطايا النافعة لا تنقيح البراهين على طريقة المنطقيين، ولم يراع سبحانه وتعالى المناسبة في الانتقال من موضوع إلى موضوع، كما يراعيها الأدباء المتأخرون، بل نشر كل ما أهمّ إلقاؤه على العباد، سواء كان مقدماً أو مؤخراً.

لا يحتاج كل آية إلى سبب النزول:

وقد ربط عامة المفسرين كل آية من آيات الجدل والأحكام بقصة، ويظنون أن تلك القصة هي سبب نزوها. والحق أن القصد الأصبي من نزول القرآن هو تهذيب النفوس البشرية، ودمغ العقائد الباطلة، ونفي الأعمال الفاسدة، فوجود العقائد الباطلة في خواطر المكلفين سبب لنزول آيات الجدل، ووجود الأعمال الفاسدة وشيوع المظالم فيما بينهم سبب لنزول آيات الأحكام، وعدم تيقظهم وتبّهم بغير ذكر آلاء الله، وأيام الله، ووقائع الموت وما بعده سبب لنزول آيات التذكير. و أما الأسباب الخاصة والقصص الجزئية التي تجسّم المفسرون بيانها فليس ها مدخل في ذلك، يُعتدّ به، إلا في بعض الآيات الكريمة، حيث وقعت الإشارة فيها إلى حادثة من الحوادث التي وقعت في عهد النبي ﷺ، أو قبله، ولا يزول ما يعرض للسامع من الترقّب والانتظار عند سماع ذلك التعريض إلا ببسط القصة، فلزم أن نشرح هذه العلوم بوجه لا نحتاج إلى إيراد القصص الجزئية.

المسلّمة: أي المسلّمة عند عوامهم وخواصهم. والخطايا النافعة: قياس مؤلف من المطبوعات أو المقولات، والخطابة بفتح الحاء مصدر. البراهين: قياس مؤلف من اليقينيّات سواء كانت بديهيات أو نظريات منتهية إلى البديهيات. أهمّ: أهمّ الأمر فلاناً: أثر اهتمامه. القصص الجزئية: ذكر الإمام المصنف في الفصل الأول عن الجدل مع الفرق الأربع الضالة، وفي الفصل الثاني بقية العنود الخمسة، فبدأ بعلوم التذكير الثلاثة، ثم شئ بمباحث الأحكام، ففي الكلام لف ونشر مشوّش، فتنبه له.

الفصل الأول

في علم الجدل

قد وقعت المخاصمة في القرن العظيم مع الفرق الأربعة الضالّة: المشركين، واليهود، والنصارى، والمنافقين. وهذه المخاصمة على طريقين:

الأول: أن يذكر سبحانه وتعالى العقيدة الناطلة مع التنصيص على شاعتها، ويذكر استنكارها فحسب. والثاني: أن يُبيّن شبهاتهم الواهية ويذكر حلّها بالأدلة الرهانية أو الخطائية.

ذكر المشركين:

وقد كان المشركون يُسمّون أنفسهم **حنفاء** ويدّعون التدنّين علة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وإما يقال: "الحنيف" لمن تدنّين بالملة الإبراهيمية والتزم شعارها.

شعائر الملة الإبراهيمية:

وشعائرها: حجّ البيت الحرام، واستقباله في الصلوات، والغسل من الجنابة، والاختتان، وسائر **خصال الفطرة**، وتحريم الأشهر الحرم، وتعظيم المسجد الحرام، وتحريم المحرمات النسبية والرضاعية، والدبح في الخلق، والتحرّ في اللَّبّة، والتقرب بالدبح والمحرّ إلى الله تعالى، لاسيما في أيام الحج.

شرائعها:

وقد كان الوضوء، والصلاة، والصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والصدقة على اليتامى والمساكين، والإعانة على نوائب الحق، وصلة الأرحام مشروعة في أصل الملة، وكان التمدّح بهذه

علم الجدل يقال لعلم الجدل: علم المناظرة والمخاصمة أيضاً، والمراد به هنا: أن القوس السفلية إذا تولدت بينها شُبّهات تُدافع بها الحق، فكيف تُحلّ ثلث العقُد؟ **حنفاء**: جمع حنيف على ربة فعيل: مائل عن الأديان كلها إلى الدين القويم، من الحنف وهو اميل، وفي الاصطلاح: كل من كان على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهو حنيف. **خصال الفطرة**: هي قص الشارب، وإعفاء النّحية، والسّوالك، واستنشاق الماء، وقصّ الأظفار، وغسل البراجم، وتنفّ الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء يعني الاستنحاء، قال الراوي: ونسيتُ العاشرة إلا أن تكون المصمصة، (رواه مسلم مشكاة رقم الحديث: ٣٧٩)، وفي رواية: الحتان بدل إعفاء النّحية (رواه أبو داود عن عمار بن ياسر رضي الله عنه).

الأعمال شائعاً فيما بينهم، إلا أن جمهور المشركين قد تركوها، حتى صارت هذه الأعمال في حياتهم العملية كأن لم تكن شيئاً.

وقد كان تحريم القتل والسرقة والزنا والربا والعصب أيضاً ثابتاً في أصل الملة، وكان استنكار هذه الأفعال باقياً عندهم في الجملة، ولكن جمهور المشركين كانوا يرتكبونها، ويتعنون النفس الأمارة فيها.

عقائدها:

وقد كانت عقيدة إثبات الصانع سبحانه وتعالى، وأنه هو خالق الأرض والسموات العلوي، وأنه مدبر الحوادث العظام، وأنه قادر على إرسال الرسل وحزاء العباد بما يعمون، وأنه مقدر بحوادث العظيمة قبل وقوعها، وأن الملائكة عباده المقربون، وأهم يستحقون استعظيم، كل ذلك كان ثابتاً عندهم، ويدل على ذلك أشعارهم، ولكن جمهور المشركين قد وقعوا في شهات كثيرة تُحاج هذه المعتقدات لاستبعادها وعدم ألفتهم بإدراكها.

ضلال المشركين:

وكان من ضلالهم الشرك، والتشبيه، والتحريف، وجحود الآخرة، واستبعاد رسالة النبي ﷺ، وشيوع الأعمال القبيحة والمظالم فيما بينهم، وابتداع التقاليد الباطلة، واندراس العبادات.

بيان الشرك:

والشرك: أن يُثبت لغير الله تعالى شيئاً من الصفات المختصة به تعالى، كالتصرف في العالم بالإرادة - الذي يعبر عنه بـ **كُنْ فَيَكُونُ** - أو العزم الذاتي - غير المكتسب بالحواس، ودليل العقل، والنام، والإلهام ونحو ذلك - أو الإيجاد لشفاء المريض، أو اللعس على شخص، والسخط عليه حتى يُقدر عليه الرزق، أو يمرض، أو يشقى بسبب ذلك السخط، أو الرحمة لشخص حتى يُيسر له الرزق، ويصحّ بدنه، ويسعدّ بسبب هذه الرحمة.

هذه الرحمة. والحاصل: أن الصفات المذكورة من التصرف في الكون، والعزم الذاتي، وإيجاد الشفاء، واللعس، والسخط، والرحمة كلها مختصة بالله تعالى، فمن أثبت شيئاً منها لغيره تعالى فقد أشرك.

ولم يكن هؤلاء امشركون يشركون أحداً في حق الجواهر، وتدبير الأمور العظام. ولا يُثبتون لأحد قدرة الممانعة إذا أبرم الله تعالى أمراً، وإنما كان إشراكهم في أمور خاصة ببعض العباد، ويظنون أن سلطاناً عظيماً من السلاطين كما يرسل عبده المخصوصين إلى نواحي مملكته، ويجعلهم مختارين متصرفين في أمور جزئية إلى أن يصدر عنه حكم صريح في أمر خاص، ولا يقوم بشؤون الرعية وأمورهم الجزئية بنفسه، بل يكلّ الرعية إلى الولاة والحكام، ويقبل شفاعتهم في حق الدين يخدمونهم، ويتوسلون بهم، كذلك قد حنع الملك على الإطلاق على بعض عباده خلعة الألوهية، وجعل سحطهم ورضاهم مؤثراً في عبادته الآخرين. فيرون التزلف إلى أولئك العباد المقربين واجباً ليتيسر لهم حسن القبول في حضرة الملك المطلق، وتقبل شفاعتهم للمتقربين هم في مجاري الأمور. وكانوا يخوّزون نظراً إلى هذه الأمور: أن يُسجد لهم، ويُدبح لهم ويُحلف لهم، ويستعان بقدرتهم المطلقة في الأمور المهمة. وختوا صُوراً كصورهم من الحجر والصُّفر وجعلوها قبلة للتوجه إلى تلك الأرواح، حتى اعتقد اجهال شيئاً فشيئاً تلك الصُورَ معبودة بدواها، فتطرق الفساد العظيم إلى المعتقدات.

بيان التشبيه:

والتشبيه: عبارة عن إثبات الصفات البشرية لله تبارك وتعالى، فكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، وإنه تعالى يقبل شفاعته عبادته، وإن لم يرض بها، كما يفعل الملوك أحياناً مثل ذلك مع الأمراء الكبار، وما لم يستطيعوا إدراك علمه تعالى وسمعه وبصره كما يبيق شأن الألوهية، قاسوها على علمهم وسمعهم وبصرهم، فوقعوا في عقيدة التجسيم، ونسبوا التحيز إلى الله تعالى شأنه.

الجواهر: جمع الجوهر، وهو ما قام بنفسه، ويقابله العرض، والمراد: المكونات المادية. الممانعة: المارعة. أبرم: أبرم الأمر. أحكمه. على الإطلاق: أي الكامل في التصرف، يفعل ما يشاء، من أطلق له التصرف: أباحه. التزلف: التقرب. مجاري الأمور: هي ما دون الأمور العظام. فتطرق: تطرق إليه: اتعى إليه طريقاً. التجسيم: عقيدة أن الله تعالى له جسم كأجسامنا. والتحيز: عقيدة أن الله تعالى متمكن في مكان.

بيان التحريف:

وأما التحريف فإن قصته: أن أولاد سيدنا إسماعيل عليه السلام كانوا على شريعة جدّهم الكريم سيدنا إبراهيم عليه السلام، حتى جاء عصر عمرو بن لحيّ لعنه الله فوضع لهم الأصنام، وشرع لهم عبادتها، واحترع لهم تحرير البحائر والسوائب والحامي، والاستقسام بالأزلام، وأمثال هذه الطقوس. وقد كان هذا الحادث قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله بقراءة ثلاث مائة سنة، وكانوا يتمسكون في هذا الباب بآثار آبائهم، ويرونها من الحجج القاطعة.

جحد الأخرى:

وقد بين الأنبياء السالفون احشرو والشر، ولكن لم يكن ذلك البيان بشرح وسط مثل ما تضمنه القرآن العظيم، ولذلك كان جمهور المشركين قبلي الاطلاع عليه، وكانوا يستبعدون وقوعه.

استبعاد رسالة النبي صلى الله عليه وآله:

وهؤلاء الجماعة وإن كانوا معترفين بنبوّة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام، بل سوة سيدنا موسى عليه السلام أيضاً، ولكن كانت الصفات البشرية، التي هي حجاب لجمال الأنبياء الكامل، تشوشهم تشويشاً، وكذلك ما لم يعرفوا حقيقة تدبير الله الذي هو مقتضى بعثة الأنبياء، استبعدوا الرسالة، لاعتقادهم أن الرسول ينبغي أن يكون مثل المرسل، فكانوا يوردون لأجل ذلك شبهات واهية غير مسموعة، فيقولون مثلاً: كيف يكون النبي محتاجاً إلى الصعام والشراب؟ ولماذا لم يرسل الله منكاً رسولاً؟ ولماذا لا يُوحى إلى كل أحد على حدة؟ وعلى هذا الأسلوب.

عمرو بن لحيّ من قحطان، كنيته أبو ثمامة، وفي نسبه اختلاف شديد، ويُطعن أنه كان في أوائل القرون الثالث من ميلاد الطقوس جمع الطقوس: وهي المراسيم الدينية. هذا الحادث، يعني وقعة عمرو بن لحي. هذا الباب يعني في جوار عبادة الأصنام. موسى عليه السلام أيضاً أي مع كونه عليه السلام من غير آبائهم. لجمال الأنبياء الكامل، أي تحول تلك الصفات بين الأنبياء وبين حماهم الحقيقي، فلا يدركون ذلك الجمال الكامل لجهلهم. تشويشاً: شوش الأمر: صيره مضطرباً.

نموذج المشركين:

وإن كنت غير مُهتدٍ في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم، فانظر إلى حال المخترفين من أهل عصرنا، لاسيما الذين يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام ما هي تصوراتهم عن "الولاية"؟ فمع أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في هذا العصر من قبيل المستحيلات، ويذهبون إلى القبور والعتبات، ويرتكبون أنواعاً من الشرك، وكيف تطرّق إليهم التشبيه والتحريف؟ ونرى طبق الحديث الصحيح: **لَتَشَعَّرَ سِسْ مِنْ كَان قَسْكُمْ** * أنه ما من بلية من البلايا إلا وصائفة من أهل عصرنا يرتكبوها ويعتقدون مثلها، عافانا الله سبحانه وتعالى من ذلك.

وبالجملة فإن الله تعالى بعث سيد الأنبياء ﷺ بفضله ورحمته في العرب، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، وخاصمهم في القرآن العظيم، واستدر في المخاصمة بمسلماتهم التي هي من بقايا الملة الحنيفية ليتحقق الإلزام.

فردُّ الإشراك:

أولاً: بمطالبتهم بالدليل على ما يزعمون ونقض تمسكهم بتقيد آبائهم.

وثانياً: بإثبات عدم التساوي بين هؤلاء العباد وبين الربّ تبارك وتعالى، وبيان اختصاصه تعالى باستحقاق أقصى غاية التعظيم، بخلاف هؤلاء العباد.

وثالثاً: ببيان إجماع الأنبياء على هذه المسألة كما قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾** (١).

تصوير صور الأمر: وصفه وصفاً يكشف حاله كشفاً بلياً. **المخترفين**: احترف: اتحد جرفة فهو مُخترِف **دار الإسلام** أي بما أهم يسكنون بنواحي دار الإسلام وأرجائها يكونون جاهلين من الدين. **الشرك**: أي هم لا يستفيدون من الأولياء الأحياء، بل يذهبون إلى الأموات، ويرتكبون هناك البدع والخرافات. **حاصمهم**: أي جادلهم ونازعهم.

* رواه الشيخان واللفظ لأحمد والبيهقي.

وراءاً: ببيان شاعة عادة الأصنام، وأن الأحجار ساقطة عن مرتبة الكمال الإنساني، فكيف يالون مرتبة الألوهية؟ وهذا الرد مسوق لقوم يعتقدون الأصنام معبودة لدوائها.

ورد التشبيه:

أولاً: بمطالنتهم بالدليل على دعواهم، ونقض تمسكهم بتقليد آبائهم.

وثانياً: ببيان ضرورة التجانس بين الوالد والولد، وهو مفقود بالبداهة.

وثالثاً: ببيان شاعة سمة ما هو مكروه ومدموم لديهم إلى الله تعالى، كما قال تعالى: **هَ أَرَكَ أَنَسَ**

وَلَهُمْ أَنَسُونَ ٥٢، وهذا الرد مسوق لقوم اعتادوا المقدمات المشهورة، والمتوهّمات الشعريّة

وكان أكثرهم من هذا القبيل.

ورد التحريف:

أولاً: ببيان أنه لم يؤثّر عن أئمة الملة الخيفية.

وثانياً: ببيان أن ذلك كلّ اختراعات وابتداعات ممن ليسوا بمعصومين.

ورد استبعاد الحشر والنشر:

أولاً: بالقياس على إحياء الأرض بعد موتها، وما أشبه ذلك، وتنقيح الماط الذي هو شمول القدرة،

وإمكان الإعادة.

معبودة لدوائها وأما لدى يطول الأصنام وسبب انتقُر، وقلة اتوجّه فلا يكتبهم هذا الجواب.

والمتوهّمات الشعريّة المتوهّمات: قصايا كادبة نحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة ولشعر: قول

مؤث من المحيّلات، والمحيلات: قصايا يُحيي بها، لتأثر النفس بها قصاً وسطاً، فترغب فيها، سوء،

كانت صادقة أو كادبة، كقول الفائل، الحمر باقوتة سيّانة، فحينئذ تفسد النفس وترغب فيها، وعسل

مرّة موهّعة، فالنفس تفسد وتغتر عه. **وما أشه ذلك** كقياس الإعادة على الانتداء. **وإمكان الإعادة**

أى بقول: إن الإعادة موقوف على أمرين الأول: كون الإعادة ممكناً، والثاني: كون قدرة الله تعالى

شاملاً عليه، وثبت كلا الأمرين، فأى استحالة فيه؟.

وثانياً: ببيان موافقة أهل الكتب السماوية كلهم في الإخبار به.

والرد على منكري الرسالة:

أولاً: ببيان وجودها في الأنبياء السابقين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَحَلًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتُ مُرْسِلًا قُلْ كَفَىٰ لَنَا شَهِيدًا نَبِيٌّ وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢).

وثانياً: بدفع الاستبعاد ببيان أن الرسالة هنا عبارة عن الوحي، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَّغْتُ مَا أُتِيَْتُ بِهِمْ مِنْ نَبِيِّهِمْ مَا أَجِدُ عَنْهُمْ حِجَابًا﴾^(٣). ثم يُفسَّرُ الوحي بما لا يكون من المستحيلات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَ اللَّهَ إِلَّا وَخَاؤًا أَوْ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ يُنْزِلُ رُسُلًا فَيُوحِي بِأَمْرٍ مَا يَشَاءُ اللَّهُ عَنِ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(٤).

وثالثاً: ببيان أن عدم ظهور المعجزات التي يقترحونها وعدم موافقة الله تعالى إياهم في تعيين شخص يتوخون رسالته وعدم إرساله تعالى الملائكة رسلاً، وعدم إيجائه تعالى إلى كل شخص، كُرِّ ذلك لمصلحة كلية، يقصر علمهم عن إدراكها.

ولما كان أكثر الناس الذين بعث الله إليهم الرسول ﷺ مشركين، ذكر هذه المعاني في القرآن الكريم في سور كثيرة بأساليب متعددة وتأكيدات بيغة، ولم يتحاش عن تكرارها وتردادها، نعم هكذا ينبغي أن تكون مخاطبة الحكماء المطلق مع هؤلاء الجهلة، والكلام في مقابلة هؤلاء الجهمة، والكلام في مقاسة هؤلاء السفهاء حدير هذا التأكيد البليغ، ﴿دَلَّكَ تَقْدِيرُ الْعَرَبِ لَعَلَّكُمْ﴾^(٥).

الإخبار به: أي نقول: إن لكتب السماوية كلها متفقة في الإخبار بوقوع الحشر والشكر، فكان ذلك إجماعاً قاطعاً عليه. يقترحونها: اقترح عليه كذا وبكذا: تحكم وسأله إياه بالعصف، ومن غير رويه. يتوخون: توحي الأمر: قصد إليه، وتعمد فعله وتخره، يقال: توحي رضاه وتوحي محنته. ولم يتحاش: تحاشى عن كذا: ترة.

(١) يوسف: ١٠٩. (٢) الرعد: ٤٣. (٣) حم السجدة: ٦. (٤) الشورى: ٥١.

ذكر اليهود

وقد كان اليهود آمنوا بالتوراة، وكان من ضلالهم:

١- تحريف أحكام التوراة، سواء كان تحريفاً لفظياً أو تحريفاً معنوياً.

٢- وكتمان آيات التوراة.

٣- وإلحاق ما ليس منها بها افتراءً منهم.

٤- والتقصير في تنفيذ أحكامها.

٥- والعصبية الشديدة لديانتهم.

٦- واستنكار رسالة نبينا ﷺ وسوء الأدب والطعن عليه ﷺ. بل بالنسبة إلى الرب تبارك وتعالى أيضاً.

٧- وابتلاؤهم بالبخل والحرص ونحو ذلك من الرذائل.

بيان التحريف:

وقد تحقق لدى الفقير أن تحريفهم اللفظي قد كان في ترجمة التوراة وأمثالها، لا في أصل التوراة،

وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والتحريف المعنوي: هو تأويل فاسد يحمل الآية على غير معناها بتعسف وانحراف عن سواء السبيل.

أمثلة التحريف المعنوي:

١- فم جملة ذلك: أن الله تعالى قد بين الفرق بين المتدينين الفاسق والكافر الجاحد في كل ملة، وتوعّد الكافر بالخلود في النار والعذاب الأليم، وحوّز خروج الفاسق من النار بشماعة الأنبياء، وصرّح بذلك في كل ديانة باسم المتدين بتلك الديانة، فأثبت ذلك في التوراة لليهود والعبريين، وفي الإنجيل لسفرائين،

أن تحريفهم اللفظي اعلم أن في التحريف ثلاثة مذهب: ذهب جماعة إلى إنكار التحريف اللفظي رأساً، والتحريف عندهم كله معنوي، وإليه جرح الإمام المصنف رحمته الله. وذهب جماعة إلى أن التحريف اللفظي موجود فيها، ولكنه قليل، وقال جماهير العلماء: إن التحريف قد وقع في الكتب السماوية بكل نحو من اللفظي والمعنوي كثيراً. **العبريين**. يقال لليهودي: العبري والعبراني تسمية هم باسم لغتهم، وهم يسمون أنفسهم بالإسرائيلي نسبة إلى إسرائيل أي يعقوب عليه السلام.

وفي القرآن العظيم للمسلمين، ومناطق الحكم: هو الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالني الذي بُعث إليهم، والانقياد له، والعمل بشرائع منته، والاجتناب عن نواهيها، لا تخصيص الحكم بفرقة من الفرق لادّعاء، ولكن اليهود زعموا أن كل من كان يهودياً أو غيرياً فهو من أهل الجنة، وتخصّصه شفاعاة الأنبياء من العذاب، ولا يمحّث في النار إلا أياماً معدودات وإن لم يتحقّق ذلك المداط، ولم يكن إيمانه بالله تعالى على الوجه الصحيح، ولم يدرك حظاً من الإيمان بالآخرة ورسالة النبي المبعوث إليهم.

وهذا خطأ صرف وجهل محض. وقد كشف القرآن العظيم هذه التشبهة على أتم وجه؛ لما أنه كان مُهِمِّمًا على الكتب السابقة، مُبَيِّنًا لمواضع الإشكال فيها، فقال تعالى: ﴿يَلَىٰ مِنْ كَسْبٍ سَيِّئَةٍ وَأُحْصِتْ بِهِ حَظِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الدَّرَجَةِ هُمْ فِيهَا حُلْدُونَ﴾^(١).

٢- ومن جملة ذلك: أنه تعالى قد بيّن في كل ملة أحكاماً تُناسب مصاح ذلك العصر وروعت في التشريع عادات القوم الصالحة، وأكد الأمر بالأخذ بها وإدامة العمل عليها والاعتقاد بها، وحصر الحقيقة فيها، والمراد أن الحق منحصر فيها في ذلك العصر، وأن الإدامة عليها إضافية لا حقيقة أي ما لم يأت نبي آخر، وما لم يُكشف الستار عن وجه رسالته.

ولكن اليهود حملوا ذلك على استحالة نسخ اليهودية، وكان معنى وصية التمسك بها هو الوصاية بالإيمان بالله والتمسك بالأعمال، ولم تكن خصوصية تلك الملة معتبرة لذاقها، ولكن اليهود اعتبروا الخصوصية، فظنوا أن يعقوب عليه السلام وصّى بنيه بالتمسك باليهودية أبداً.

٣- ومن جملة ذلك: أن الله تعالى شَرَّفَ الأنبياء، والتابعين هم بإحسان في كل ملة بوصف المقرب والمحبوب، ووصف الذين ينكرون الملة بالمغضوب، وأطلق في هذا الباب لفظاً شائعاً في كل قوم،

مُهِمِّمًا. هُيْمَ عَى كذا: سَيُطَرِّعُ عَلَيْهِ وَرَاقَهُ وَحَفِظَهُ **التشريع**. سُنُّ الْقَوَائِي. **عليها**. ضُمَائِرُ التَّأْيِيثِ كُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْمِلَّةِ. **وكان معنى إلخ:** هذا جواب سؤال مطوي، وهو أن اليهود يدعون أن يعقوب عليه السلام مات وصّى بنيه بالتمسك باليهودية، فيستدلون بتلك الوصية على استحالة نسخ اليهودية، والجواب: أن ذلك افتراء منهم على يعقوب عليه السلام، ولم يكن معنى وصيته هذا، بل كان معناه إلخ.

فلا عجب لو استعمل كلمة "الأبناء" مقام المحبوبين، ولكن ظن اليهود أن هذا التشريف دائر مع اسم اليهودي والعبري والإسرائيلي، ولم يعرفوا أنه دائر مع صفة الانقياد والخضوع، والسير على الحق الذي أنزله الله على الأنبياء لا غير.

وقد ارتكز في خواطرهم كثير من التأويلات الفاسدة من هذا القبيل، وتفقوا وتوارثوها عن آبائهم وأحاديدهم، فذخض القرآن الكريم هذه الشبهات على أتم وجه.

بيان كتمان الآيات:

أما كتمان الآيات فهو أنهم كانوا يحفون بعض الأحكام والآيات للمحافظة على حاد شريف، أو لطبب منصب عزيز؛ لئلا يتلاشى اعتقاد العامة فيهم، ولا يلاموا على ترك العمل بتلك الآيات.

أمثله:

١ فمن جملة ذلك: أن حكمه رجم الزاني مصرحاً في التوراة، ولكنهم أهموه لإجماع أحبارهم على إهماله، وإقامة الجلد وتسخيم الوجه مقامه، وكانوا يحفون تلك الآيات خشية الفضيحة.

٢ ومن جملة ذلك: أن الآيات التي فيها بشارة ببعثة نبي في أولاد هاجر وإسماعيل عليهما السلام، والتي فيها إشارة إلى وجود ملة يتم ظهورها وشهرتها في أرض الحجاز وتمتد بها حبال عرفة من التلبية، ويوم الناس ذلك الموضع من الأقطار والأمصار، وهي ثالثة في التوراة حتى اليوم، فكان اليهود يتأوونها بأن ذلك إخبار بوجود تلك الملة وليس فيها أمر باتباعها، وكانوا يرددون هذه الكلمة "ملحمة كُتبت علينا".

ولمّا أن هذا التأويل الركيك لا يسمعه أحد ولا يصح عند أحد، كانوا يتواصون فيما بينهم بإحفاها،

ارتكر ارتكر شيء؛ ثبت واستقر في محله. فذخض دحض الحجة: أطلها ودفعها. أحبارهم. الأحبار جمع حُرّ يفتح أوله ويكسره: العام الكبير عند المصريين، ورئيس الكهنة عند اليهود. وتسخيم: سخّم الله وجهه: سوّده، والسحيم: الأسود. الآيات: يعني آيات التوراة. هاجر: هاجر عن ربة فاعل: أم إسماعيل عليها السلام، ويقولون: أجرّ فيسدون الهمة من الهاء. ملحمة كُتبت علينا أي كانوا يقولون: كُتبت علينا الحرب الشديد مع النبي الذي سيظهر في أولاد إسماعيل فكاننا أمرنا بمخالفته لا باتباعه.

ولا يسامحون بإظهارها على كل عام وحاص، كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿أُخَذَتْهُمْ بَعْدَ فَتْحِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لِيُخَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾^(١).

ما أحملهم! هل يمكن أن تُحمل مئة الله تعالى على هاجر و إسماعيل ~~عليهما السلام~~ بهذه المنالعة، وذكر هذه الأمة بهذه الفضيلة على الإخبار بوجود تلك المنة، ولا يكون فيه حث وتحريض على اتباع هذا الدين؟! سُبْحَانَكَ هَذَا إِفْكٌ عَظِيمٌ!

بيان الافتراء:

أما الافتراء فأسبابه:

- ١- دخول التعمق والتشدد على أخبارهم ورهبانهم.
 - ٢- والاستحسان أى استنباط بعض الأحكام بآء على إدراك المصالح فيها بدون نص من الشارع.
 - ٣- وترويح الاستنباطات الواهية.
- فأتباعهم ألحقوها بالأصل رعماً منهم أن اتفاق سلفهم على شيء من الحجج القاطعة، فلم يكن عندهم مستند في إنكار نبوة عيسى ~~عليه السلام~~ إلا أقوال سلفهم، وكذلك كان حالهم في كثير من الأحكام.

سبب التساهل وارتكاب المناهي:

وأما التساهل في تنفيذ أحكام التوراة، وارتكاب البخل والحرص، فظاهراً أنه من مقتضيات النفس الأمارة، وهي تعذب الناس جميعاً إلا من شاء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ لِّلشَّوْءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٢). ولكن هذه الرذيلة قد تلونت في أهل الكتاب بلون آخر، وهو أنهم كانوا يتكفون تصحيحها بتأويل فاسد، وكانوا يُبرزونها في صبغة الدين.

الافتراء. الافتراء على الله. سبة ما يكتونه بأيديهم إلى الله تعالى، وإلى التوراة. بالأصل أى بأصل الكتاب والشرعية. **الرذيلة:** ضد الفضيلة، والجمع رذائل.

(١) البقرة: ٧٦ . (٢) يوسف: ٥٣.

أسباب استبعاد رسالة سيدنا محمد ﷺ:

وأما استبعاد رسالة سيدنا محمد ﷺ، فأسبابه:

١ - اختلاف عادات الأنبياء وأحوالهم في إكتثار اتروح والإقلاص منه، وما أشبه ذلك.

٢ - واختلاف شرائعهم.

٣ - واختلاف سنة الله تعالى في معاملة الأنبياء.

٤ - وبعثة النبي ﷺ من بني إسماعيل بعد ما كان جمهور الأنبياء من بني إسرائيل.

٥ - وأمثال هذه الأسباب.

النبوة ومنهجها في إصلاح الناس:

والأصل في هذه المسألة أن السورة كائنة لإصلاح نفوس اساس، وتهذيب عباداتهم وتعديل عاداتهم، لا لإنشاء أصول أمر والإثم. ولكل قوم عادات في العادات، وتديبر المنزل، واسياسة المدنية، فإذا ظهرت فيهم السورة فلا تستأصل هذه العادات بامرّة، ولا تضع لهم عادات جديدة، بل تميز فيما بين العادات، فما كان منها صالحاً مطابقاً لرضى الله تعالى ثقيّه وتحفظه، وما كان منها محالفاً للأصل منافياً لرضى الله تعالى تُغيره حسب الضرورة وتعذله.

وكذلك يكون التدكير بآلاء الله، وبآيام الله على الأسلوب الذي هو معروف عندهم، وشائع بديهم.

فهذا هو السبب في اختلاف شرائع الأنبياء ﷺ.

اختلاف الشرائع كاختلاف وصفات الطبيب:

وهذا الاختلاف في الشرائع كالاختلاف في وصفات الطبيب، فإنه إذا دبر أمر المريضين يصف لأحدهما دواء وعذاء بارداً، ويأمر الآخر بدواء وعذاء حار، وغرض الطبيب من معالجتهم واحد، وهو إصلاح مزاجهما، وإزالة المواد الفاسدة منهما لا غير، ويمكن أن يصف الطبيب في كل منطقة أدوية وأغذية مختلفة تلائم أهلهما، وكذلك يختار في كل فصل من الفصول علاجاً مختلفاً يناسب ذلك الفصل.

كذلك ما أراد الطبيب الحقيقي - حلّ مجده - معالجة من ابتلي بالمرض النفساني، وتقوية القوة المنيكية، وإزالة الفساد الطارئ عليهم، اختلفت المعالجة بحسب اختلاف أقوام كل عصر وعاداتهم ومشهوراتهم ومسلماهم.

أنموذج اليهود:

وعلى كل فإن أردت أن ترى أنموذج اليهود، فانظر إلى عديماء السوء الذين يطلبون الدنيا، ويولعون بتقليد السلف، ويُعرضون من نصوص الكتاب والسنة، ويستندون إلى تعمق عالمٍ وتشدده، أو إلى استحسانه، فأعرضوا عن كلام الشارع المعصوم، وجعلوا الأحاديث الموضوعة، والتأويلات الفاسدة قدوة، فانظر كأنهم هم!

ذكر النصارى

عقيدة التثليث والرد عليها:

أما النصارى فكانوا مؤمنين بسيدنا عيسى عليه السلام، وكان ضلالهم: أنهم يرفعون أن الله تبارك وتعالى ثلاثة أجزاء متغايرة بوجه ومتحدة بآخر، وكانوا يسمونها **الأقانيم الثلاثة**:

أحدها: الأب، وهو بإزاء مبدأ العالم.

والثاني: الابن، وهو بإزاء الصادر الأول الذي هو معنى عام شامل لجميع الموجودات.

أنموذج. الأنموذج والمودج: مثال الشيء أصبهما كلمة فارسية، وهي نموذج. **الأقانيم**: جمع الأقنوم، وهي كلمة سريانية، معناها: الشخص والأصل **مبدأ العالم**: قارن الإمام المصنف رحمه الله مصطلحات انصارى بمصطلحات الفلاسفة، والفلاسفة ينعون بمبدأ العالم ذات الواجب تعالى، والصادر الأول العقل الأول، وبالعقول المجردة العقول العشرة، والعقل عندهم: جوهر مستغنى في أفعاله عن الآلات الحسمانية، متوسط بين الواجب ومصوغاته في إقامة الوجود. **جميع الموجودات**: اصادر الأول أى العقل الأول عند الفلاسفة سبب لوجود جميع الكائنات، فهو شامل لجميع الموجودات بهذا المعنى، وهو عند أرباب الحقائق: الوجود المستسط المحلوق، وممّه وجد العالم بخلافه.

والثالث: روح القدس، وهو بإزاء العقول المجردة.

وكانوا يعتقدون أن أقنوم "الابن" تدرّع روح عيسى . أي كما أن حبرئيل قد يظهر في صورة الإنسان، كذلك ظهر الابن في صورة روح عيسى . فعيسى إله وابن إله وبشر أيضاً في وقت واحد، وتخري عبه الأحكام الشرعية والإلهية معاً. وكانوا يتمسكون في إثبات هذه العقيدة ببعض نصوص الإنجيل التي أطلق فيها لفظ "الابن" على عيسى . وكذلك يستدلون بالآيات التي نسب فيها عيسى بعض أفعال الله تعالى إلى نفسه.

وجواب الإشكال الأول على تقدير صحة نصوص الإنجيل، وأنه ليس فيها تحريف: أن لفظ "الابن" في العهد القديم كان مستعملاً بمعنى المحبوب والمقرب والمحتنى، كما يدل عليه كثير من القرائن في الإنجيل. وجواب الإشكال الثاني: أن تلك النسبة على طريق الحكاية، كما يقول رسول الملك: "بأ فتحتا السد الفلاني" و "لقد حصمنا القنعة العالية"، وفي الحقيقة هذا الأمر راجع إلى الملك، وأما الرسول فإنما هو ترجمان الملك فحسب.

والجواب الثاني: أنه يحتمل أن يكون الوحي إلى عيسى عن طريق انطباع المعاني في لوح قلبه من قبل العالم الغدوي، لا عن طريق تمثيل حبرئيل في صورة البشر وإلقاء الكلام إليه، فسبب هذا الانطباع جرى منه كلام مشعر بنسبة تلك الأفعال إلى نفسه، والحقيقة غير حفية. وبالحمية فقد ردّ الله تعالى هذا المذهب المائل، وبشأن أن عيسى عبد الله وروحه المظهرة التي لفحها في رحم مريم الصديقة، وأنه تعالى أيده بروح القدس، وحاطه بعناية خاصة.

وبالحملة فلو فرصا أن الله سبحانه وتعالى ظهر في الكسوة الروحية، التي هي من جنس الأرواح وتدرّع

تدرّع أي تقمّص عيسى عليه السلام رجع إنجيل مرقس ١٣: ٣٢، وإنجيل لوقا ٢٣: ٤٦، ومواضع كثيرة من إنجيل يوحنا. أن نفسه كما في الأصحاح الثامن من إنجيل متى: جاء أنرس، فقال عيسى: يا رب إن شئت فأنت قادر على تطهيري، فمدّ يسوع يده ولمسه، وقال: "قد شئت فاطهر"، فطهر للوقت من برصه (الآيات ١-٣).
 الإشكال الاشتباه والانتباس، من أشكال الأمر: إذا التمس انطباع (تجسّد، ذمت، برجنه) مطاوع لطبع. حاطه حاص حوطاً شئى: حفظه وتعهّده نجب ما ينعمه ودفع ما يضره.

بالبشرية، فلا يطبق لفظ "الاتحاد" على هذا المعنى عند التدقيق والإمعان إلا تسامح، وأقرب الألفاظ هذا المعنى: هو "التقويم" ومثله، تعالى الله عما يقول الظالمون عداً كبيراً.

أنموذج النصارى:

وإن شئت أن ترى نموذجاً لهذا الفريق، فانظر اليوم إلى أولاد المشايخ والأولياء، ماذا يطعون بأبائهم؟ وإلى أي حد وصلوا بهم! «وسمعتُ لَدَسِ صَمُوئِيلَ مُنْقَلِبَ يَطْنُونَ»

عقيدة مصلوبية المسيح والرد عليها:

ومن صلالاتهم أيضاً أنهم يحزمون بأن عيسى عليه السلام قد قُتل، مع أن الواقع خلاف ذلك، وقد شُبه لهم، والنس عليهم الأمر، فطخوا رفعه إلى السماء قتلاً، ورووا هذا العبط كارتاً عن كابر، فكشف الله تعالى الستار عن حقيقة الأمر في القرآن العظيم قائلاً: «وَمَا صُنُوعُهُمْ وَأَنْ كُنْ سَبْعَ سَعَتٍ»^(١) وأما ما ذكر في الإنجيل من قول عيسى عليه السلام في هذا الباب فمعناه: أنه إخبار بجرأة اليهود وبقدامهم على قتله، ولكن الله تعالى أنجاه من هذه المهلكة.

وأما كلام الخواريين فإنه ناشئ عن اشتباه الأمر، وعدم وقوفهم على حقيقة الرفع الذي لم يكن مألوفاً لعقولهم، ولا لأسماعهم.

ومثله حاصل ما قاله الإمام المصنف رحمه الله تعالى يقولون بالاتحاد بين الله تعالى وعيسى عليه السلام لأن الله تعالى تقمص بشرية عيسى عليه السلام، فصار متحداً معه، فردّ عليهم المصنف رحمه الله تعالى: لو فرضنا أن الله تعالى صار روحاً في أول الأمر، ثم تقمص بشرية عيسى عليه السلام ثانياً، فلا يطبق عليه لفظ الاتحاد أي لم يقصر سبحانه وتعالى مع هذا متحداً مع عيسى عليه السلام في البصر المجمع؛ لأن الله تعالى بمسرة الروح، وبشرية عيسى بمسرة الجسد، والروح لا تكون متحدة مع الجسد أبداً، بل تكون مقومة ومعدّنة فحسب، فكيف يقول صالمون بالاتحاد سه تارك وتعالى وبين عبده عيسى عليه السلام؟! ما ذكر في الإنجيل جاء في إنجيل متى (٢٦: ٤٥): انظروا قد اقتربت سكة الساعة، وابن الناس يُصلب بأيدي الفجار الطغمة. **كلام الخواريين** أي إخبار الخواريين بقتل عيسى عليه السلام.

(١) الشعراء: ٢٢٧. (٢) النساء: ١٥٧.

تحريفهم في بشارة الفارقليط:

ومن ضلالاتهم أيضاً أنهم يقولون: إن الفارقليط الموعود هو عيسى عليه السلام نفسه، الذي جاء بعد قتله إلى الخواريين، وأوصاهم بالتمسك بالإنجيل. ويقولون: إن عيسى عليه السلام أوصاهم أيضاً بأن المتشين سيكثرون، فمن سَمَّاني فاقبوا كلامه، وإلا فلا.

وقد بين القرآن العظيم أن بشارة عيسى عليه السلام تصدق على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، لا على الصورة الروحية لعيسى عليه السلام. لأنه قد صرح في الإنجيل بأن الفارقليط يبعث فيكم مدة طويلة، ويعلم العلم ويركي الناس، ولا يظهر هذا المعنى في غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما ذكر عيسى عليه السلام وتسميته فإغراض منه التصديق بسوته، لا أن يتخذة رباً أو يعتقد بأنه ابن الله.

ذكر المنافقين

نفاق الاعتقاد ونفاق العمل:

أما المنافقون فكانوا على قسمين:

- ١- صائفة منهم يقولون بأنستهم: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وقبوههم مطمئنة بالكفر. ويضمرون الحشود الصوف في أنفسهم، قال الله تعالى في حقهم: ﴿إِنَّ النِّفَاقَ فِي لَذَّةِ الْأَسْفَلِ مِنَ الدَّارِ هَاهُنَا﴾.
- ٢- وطائفة دخلوا في الإسلام مع ضعف فيه.

مظاهر نفاق العمل:

- ١- فمنهم من يعتاد موافقة قومهم، إن ثبت القوم على الإيمان ثبتوا، وإن رجع القوم إلى الكفر رجعوا.

الفارقليط فارقليط كلمة سريانية، معناها: أحمد - أفعّل التفصيل من أحمد - أي الذي يحمّد الله تعالى أكثر من كل أحد **بالإنجيل** كما في أساطين من كتب الأعمام، وراجع إظهار الحق (٢: ١٩٧-٢٠١).

في غير نبينا لأن روح عيسى عليه السلام تمكث عندهم إلا قليلاً على رعمهم. **يضمرون** أضمر شيء: أحماه.

- ٢- ومنهم من استولى على قلوبهم الانسياق وراء اللذات الدنيوية الدنيئة بحيث لم يذر في قلوبهم مكاناً لحب الله وحب رسوله ﷺ.
- ٣- ومنهم من غمّلت قلوبهم الحرص على المال والخسدة والحقد، ونحو ذلك من الرذائل بحيث لم يبق في قلوبهم محل لحلاوة الابتهاال والمناجاة، ولا لبركات العبادات.
- ٤- ومنهم من انغمسوا في شؤون المعاش واشتغلوا بها حتى لم يبق لديهم فرصة للاهتمام بأمر الآخرة، ولترقيتها، وللتفكير فيها.
- ٥- ومنهم من خطر بياهم ظنون واهية وشبهات ركيكة في رسالة سيّا ﷺ، وإن لم يلبعوا إلى أن يخلعوا ربقة الإسلام عن عنقهم، وينفضوا أيديهم منه بتاتا.
- وسبب تلك الشكوك: حريان الأحكام الشرعية على نيبا ﷺ. وظهور الملة الإسلامية في صورة سيطرة الملوك على أطراف البلاد، وأمثال ذلك.
- ٦- ومنهم من حملتهم محبة القبائل والعشائر على أن يبدلوا الجهد البليغ في نصرتهم، وتقويتهم، وتأييدهم، ولو كان ذلك على مناواة أهل الإسلام، وبصعقون أمر الإسلام عند التعارض، ويلحقون به الضرر.

الكلام حول قسمي النفاق:

وهذا القسم من النفاق هو نفاق الأعمال والأخلاق، ولا يمكن الاطلاع على النفاق الأول بعد سيدنا محمد ﷺ، لأنه من الأمور المعيبة، ولا يمكن الاطلاع على مكونات القنوب.

والنفاق الثاني كثير الوقوع لاسيما في عصرنا، وإليه جاءت الإشارة في الحديث الشريف: "أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً: إذا مؤمن حان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر". وقال: "ههنا منافق بصره، وههنا مؤمن فريسه" *** إلى غير ذلك من الأحاديث.

الانسياق: مطاوع ساقه، أي تبع غيره ومشى خلفه. النفاق: يعني القسم الثاني بجميع أنواعه.

* رواه السنة إلا أن ما جاءه عن ابن عمرو رضي الله عنه لم أحده مع الجهد البليغ

الغرض من ذكر أحوال المنافقين في القرآن العظيم:

وقد كشف الله تعالى في القرآن العظيم عن معائب المنافقين وأعمالهم، وذكر من أحوال الفريقين أشياء كثيرة لتحترز الأمة بأسرها منها.

نموذج المنافقين:

وإن شئت أن ترى نموذجاً للمنافقين فانطلق إلى محاليس الأمراء، وانظر إلى مُصاحبيهم ودمائهم، يؤثرون رضى الأمراء على رضى الله تعالى. ولا فرق عند المصنف بين المنافقين الذين سمعوا كلام الرسول ﷺ مباشرة ثم نافقوا، وبين هؤلاء المنافقين الذين ولدوا في هذا الزمان، ثم علموا أحكام الشريعة بطريق انقص واليقين، ثم أقدموا على خلافها، وانخرفوا عنها. وكذلك طائفة من العقوليين الذين تمكّست في حواضرهم شكوك وشبهات كثيرة، وسوا اندار الآخرة، فهم أيضاً نموذج المنافقين.

القرآن كتاب كل عصر:

وعلى كل، فإذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المحاصمة كانت مع قوم انقرصوا، كلا، بل ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بصريق الأمّودج، كما ورد في الحديث الشريف: **لَنْ تَنفَعَنَّ سِسْ مِنْ كَلِّ فَتَنِكُمْ***، فمقصود القرآن الكريم بيان كليات تلك المفاسد، لخصوص الحوادث.

هذا ما تيسر لي في هذا الكتاب من بيان عقائد الفرق الضالة، واردة عليها، وأصل أن هذا القدر كاف في فهم معاني آيات الجدل، إن شاء الله تعالى.

* حديث متفق عليه، وعامه: **شَرُّ سِرٍّ مَدْعَاةٌ حَقٌّ**، حتى لا يذبح ختم صبغهم مشكاة رقم الحديث: ٥٣٦١ كتاب الرقاق، باب تغير الناس.

الفصل الثاني

في بقية مباحث العلوم الخمسة

بيان التذكير بآلاء الله:

لِيُعْلَمَ أن نزول القرآن الكريم إنما كان لإصلاح النفوس البشرية سواء كانوا عرباً أو عجماء بدواً أو حضراً، فذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يُخاطب الناس في التذكير بآلاء الله إلا بما تسعه أذهانهم وتُحيط به مداركهم، ولا يُبالغ في البحث والتحقيق مبالغة زائدة، فسيق الكلام في أسماء الله تعالى وصفاته بوجه يمكن فهمه، والإحاطة به بإدراك وفطنة، خُلق أكثر أفراد الإنسان عليهما في أصل خلقتهم من دون حاجة إلى ممارسة الفلسفة الإلهية ومزاولة علم الكلام.

إثبات الذات وبيان الصفات:

فأثبت سبحانه وتعالى ذات المبدأ إجمالاً، إذ أن معرفته تعالى مركوزة في فطرة بني آدم، لا ترى طائفة منهم في الأقاليم الصالحة، والأماكن القريبة من الاعتدال ينكرون ذلك. ولما كان إثبات الصفات الإلهية بطريق الإمعان، وتحقيق الحقائق مستحيلاً بالنسبة إلى أفراد الإنسان، ولو لم يطلعوا على صفاته تعالى إطلاقاً لم يصلوا إلى معرفة الربوبية التي هي أنفع الأشياء في تهذيب النفوس، فكان من حكمة الله تعالى: أنه احتار شيئاً من الصفات البشرية الكاملة التي يعرفونها، ويجري التمدُّح بوجودها فيما بينهم، فاستعملها بإزاء المعاني الدقيقة الغامضة التي لا مدخل للعقول البشرية في ساحة جلالها، وجعل الأصل المصرَّح بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ترياقاً للداء العضال من الجهل المركب، ومنع من إثبات الصفات البشرية التي تثير الأوهام إلى العقائد الباطلة، كإثبات الولد والبكاء والجزع له تعالى شأنه.

صفاته تعالى توقيفية:

وإن أمعنت النظر في مسألة الصفات الإلهية تجلَى لك أن الجري على مسطرة العلوم الإنسانية

غير المكتسبة وتمييز صفات يجوز أن تُسبب إلى الله تعالى، ولا يقع بها خلل عن الصفات التي يؤدي إثباتها إلى الأوهام الناصئة أمر دقيق خطير بلعاية، لا يدرك غوره جمهور الناس، فلا حرم كان هذا العلم توقيفياً يُسمح فيه بالبحث بحرية وإطلاق.

بيان آلائه تعالى وآيات قدرته:

واختار سبحانه وتعالى من آلائه وآيات قدرته ما يستوي في فهمه الحضري والبدوي، والعربي والعجمي، ولأجل ذلك لم يذكر النعم الروحانية المحصورة بالعلماء والأولياء، ولم يُحرر بالنعم الارتفاقية المحصورة بالملوك، وإنما ذكر سبحانه وتعالى ما ينبغي ذكره، مثل خلق السموات والأرض، وإخراج أنواع اشجار والحبوب والأزهار بالماء، وإلهام الصائغ والحرف الضرورية، وخلق القدرة لممارستها ومراولتها. وقد نَّه في مواضع كثيرة على اختلاف أحوال الناس عند هجوم المصائب وانكشافها ببيان الأمراض النفسانية الكثيرة الوقوع.

بيان التذكير بأيام الله:

واختار سبحانه وتعالى من أيام الله - أي من الوقائع التي أحدثها الله تعالى من قبيل تنعيم المطيعين، وتعذيب الجرمين - ما قرع أسماعهم من قبل، وكانوا قد سمعوا عنه بالإجمال، مثل قصص قوم نوح وعاد وثمود التي تنقأها العرب أباً عن جد، ومثل قصص إبراهيم، وقصص أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام التي ألفتها أسماعهم لطول اختلاط العرب مع اليهود، ولم يذكر القصص الغريبة غير المألوفة للعرب،

النعم الروحانية كفتح كشف الكدات النافعة، ومسرة حل المعصلات، وكحلالة العادة، والاسباط برؤية الأنوار الإلهية. **بالنعم الارتفاقية** هي التي يحتاج إليها الرجل يقضيها حاجته البوعية من الأكل، والشرب، وجماع، والاستئصال من الشمس، والمطر، والاستدفاء في الشتاء، وغيرها. **اختلاف أحوال الناس** أي تتغير مواقف الناس عند السراء والضراء، وأوضح سبحانه وتعالى ذلك بأمثلة الأمراض النفسية الكثيرة الوقوع ليفهمها جميع الناس، كما قال تعالى: **«لَا يَأْسُ خُفْ هُلُوعًا، دَا مَسَّهُ الْبُؤْسُ حُزُوعًا. وَإِذْ مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا»** (المعارج ١٩-٢١). **قرع أسماعهم**: قرع سمعه أي وقع في أذنه.

ولا أخبار مجازاة الفارس والهنود.

ذكر من القصص ما هو الغرض منها:

وانتزع سبحانه وتعالى من القصص المشهورة جماعاً تنفع في التذكير والموعظة، ولم يسرد القصص بتمامها مع جميع خصوصياتها.

والحكمة في ذلك: أن العوام إذا سمعوا قصة بادرة غاية الثرة، أو ذكرت القصة عندهم بجميع خصوصياتها وتفصيلاتها، فإن طباعهم تميل إلى نفس القصة، ويفوقهم العرض الأساسي الذي هو التذكير. ومثال ذلك ما قاله بعض العارفين: "إن الناس لما حفظوا قواعد التجويد شغلوا عن الحشوع في التلاوة، ولما بدأ المفسرون يتكلمون في الوحوة البعيدة في التفسير، أصبح علم التفسير نادراً كالمعلوم".

القصص المتكررة في القرآن:

ومما تكرر من القصص في القرآن العظيم:

قصة خلق آدم من الطين وسجود الملائكة له، واستكبار الشيطان عنه، وكونه ملعوناً وسعيه بعد ذلك في إضلال بني آدم.

وقصصُ مُحاجة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام مع شعوبهم وأقوامهم في توحيد الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستكبار الأقوام عن الإيمان، وإدلائهم بشبهات ركيكة، وردود الأسياء عليها، وانتلاء الأقوام بالعقوبة الإلهية، وظهور بصره الله تعالى في حق الأسياء وأتباعهم. وقصص موسى عليه السلام مع فرعون وملأته، ومع سفهاء بني إسرائيل ومكابرهم معه عليه السلام، وعقاب الله تعالى لأولئك الأسياء، وظهور بصره الله تعالى متتالية لنجته عليه السلام.

وقصص داود وسليمان عليهما السلام وحلافتهما وآياتهما وكرامتهما.

والهنود المراد بأخبار مجازاة الفارس: حروبهم وملاحمتهم، كقصص رستم وإسكندر ودارا وغيرها، والمراد بأخبار مجازات الهنود أيامهم الشهيرة، كحرب مها بهارت وغيرها. **جماعاً** الخماع: مجتمع أصنه، يقال: هذا الباب جماع هذه الأبواب أي الجامع لها الشامل لما فيها. **إدلائهم** أدل فلان نجته: أي أحضرها واحتج بها.

وقصص مِحنة أيوب ويونس **عليهما السلام**، وظهور رحمة الله تعالى لهما.

وقصة دعاء زكريا **عليه السلام**، واستجابة الله تعالى إياه.

وقصص سيدنا عيسى العجيب من ولادته من غير أب، وتكلمه في المهد، وظهور الخوارق على يده. فذكرت هذه القصص في القرآن العظيم بأساليب متنوعة من الإيجاز والإطناب حسب مقتضى الأساليب المرعية في السور.

ما ذكرت من القصص مرة أو مرتين فقط:

وأما القصص التي لم تتكرر في القرآن، بل وردت في موضع أو موضعين فحسب، فهي:

قصة رفع سيدنا إدريس **عليه السلام** مكاناً علياً.

وقصة مُحاجة سيدنا إبراهيم **عليه السلام** لمرود، ومشاهدته لإحياء الطير، وقصة دبح ولده الوحيد.

وقصة سيدنا يوسف **عليه السلام**.

وقصة ولادة سيدنا موسى **عليه السلام**، وإلقاؤه في اليم، وقتله القبطي، وتوجهه إلى مدين، وتزوجه هناك.

ورؤيته النار على الشجرة، وسماع الكلام منها.

وقصة ذبح البقرة.

وقصة لقاء موسى مع الخضر **عليه السلام**.

وقصة طالوت وجالوت.

وقصة بلقيس.

وقصة ذي القرنين.

وقصة أصحاب الكهف.

محنة البلاء والشدة ج محن. **مكاناً علياً** وذلك في سورة مريم ٥٧، والصحيح في معناه: أنه شرف السوة والرفق عند الله تعالى، وعلو المرتبة بالذكر الحميل في الدنيا، قاله ابن كثير في "تاريخه" (١: ١٠٠) وما روي من رفعه إلى السماء الرابعة، فهو من أحجار كعب الأخبار الإسرائيلية، قاله ابن كثير في "تفسيره" (٣: ١٢٦). **الوحيد: المنفرد. بلقيس:** هي ملكة سبأ.

وقصة الرجلين المتحاورين.

وقصة أصحاب الجنة.

وقصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام لدعوة الدين، وقصة المؤمن الذي قتله الكفار شهيداً.

وقصة أصحاب الفيل.

فليس الغرض من سرد هذه القصص في القرآن الكريم معرفتها بأنفسها بل الغرض الأساسي: هو أن ينتقل ذهن القارئ والسامع إلى شناعة الشرك والمعاصي، ومعاقبة الله تعالى عليها، وأطمئنان المؤمنين بنصرة الله تعالى وتأييده، وظهور ألطافه وأفضاله تعالى في حق عباده المخلصين.

بيان التذكير بالموت وما بعده:

وقد ذكر جل شأنه من الموت وما بعده كيفية الإنسان عند موته، وعجزه في تلك الساعة، وعرض الجنة والنار عليه بعد الموت، وظهور ملائكة العذاب أمامه، وأشراف الساعة من نزول سيدنا عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وحروج دابة الأرض، وخروج يأجوج ومأجوج، ونفخة الصعق، ونفخة القيام، والحشر والنشر، والسؤال والجواب، والميزان، وأخذ صحائف الأعمال بالآيمان والشمائل، ودخول المؤمنين الجنة، ودخول الكفار النار، وتحاصم أهل النار من التابعين والمتبوعين فيما بينهم، وإنكار بعضهم على بعض، ولعن بعضهم بعضاً، واختصاص المؤمنين برؤية الله تعالى، وأنواع العذاب من السلاسل والأغلال والحميم والغساق والزقوم، وأنواع النعم من الحور والقصور

الحلة: الخديقة، وقصتها في سورة القلم (٣٣: ١٧). **معرفتها بأنفسها:** أي الاطلاع عليها، والتعرف على جرياتها فحسب. **نزول سيدنا عيسى عليه السلام:** جاء ذكره في سورة الزحرف ٦١ في قوله تعالى: **﴿يَأْتِيهِمْ عَنْدهُ لِسَاعَةٍ﴾**.

خروج الدجال: يسزل المسيح عليه السلام بعد حروح الدجال، فيقتله الله تعالى على يديه، وليس لخروجه ذكر في القرآن. **أصرح من هذا: دابة الأرض:** جاء ذكرها في سورة المل ٨٢، وليس في الأصل الفارسي ذكر حروح دابة الأرض. **السلاسل:** جمع السلسلة: حبل الحديد. **والأغلال:** جمع العن: طوق من حديد، أو جلد يُجعل في اليد والعنق. **والحميم:** من الأضداد: الماء الحار والماء البارد. **والغساق:** البارد أو المتن، أو ما يسيل من صديد أهل النار. **والزقوم:** شجرة ذات شوكة تبت في أصل الحميم. **الحور:** جمع الحوراء: البيضاء. **والقصور:** جمع القصر: المكان المرتفع.

والأهبار، والمطاعم الهنيئة، والملابس الناعمة، والنساء الجميلات، ومحالس أهل الجنة أفكّهة الطيبة المفرحة للقلوب.

ففرّق سبحانه وتعالى هذه المطالب في مختلف السور بالإجمال والتفصيل مراعيًا أساليبها الخاصة.

بيان علم الأحكام:

والقاعدة الكلية في مباحث الأحكام: أن سيدنا رسول الله ﷺ قد بُعث بالملة الإبراهيمية الحنيفية، فلزم إبقاء شرائع تلك الملة، وأن لا يُحدث أيُّ تغيير في أمهات مسائلها، اللهم إلا تخصيصاً عموماتها وريادةً للتوقيعات والتحديدات فيها، وأمثال ذلك. ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يزكّي العرب بنينا ﷺ، ويزكّي سائر الأقاليم بالعرب لزم أن تتكوّن مادّة شريعته ﷺ من رسوم العرب وعاداتهم. فإذا أُمعنت النظر في مجموع شرائع الملة الحنيفية، ولاحظت عادات العرب ورسومهم، وتأملت في تشريعه ﷺ - الذي هو بمنزلة الإصلاح والتهذيب لها - عمت أن لكل حكم سبباً، وفهمت أن لكل أمر ونهي مصلحة، وتفصيل ذلك يطول.

دور التشريع الإسلامي في إصلاح الملة الحنيفية المحرّفة:

وبالجملة فقد كان تُطرّق إلى العبادات من الطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والذكر فتورّ عظيم من جهة التساهل في إقامتها، واختلاف الناس فيها بسبب عدم معرفة أكثرها، وتسرب التحريفات الجاهلية إليها، فأصلح القرآن العظيم ذلك الاختلال كنه، وسوّاها حتى استقام أمرها. وأما تدبير المنزل فقد كانت حدث فيه رسوم ضارّة، وأنواع تعدّ وعتوّ، وهكذا احتت أحكام السياسة المدنية، فضبط القرآن العظيم لهما أصولاً، وحدد لهما حدوداً، وذكر من هذا الباب أنواعاً

الهيئة المرعوة. الناعمة الملية. مادّة: مادّة اشياء: أصوله وعناصره التي منها يتكوّن، حسية كانت أو معنوية، كمادّة الخشب ومادّة البحث العمي. عاداتهم أي مما توارثوها من الملة الحنيفية، وانحرفوا عن حادتها في كثير منها. والتهذيب لها أي لعادات العرب ورسومهم. تدبير المنزل أي الحياة العائلية. هذا الباب أي من باب تدبير المنزل والسياسة المدنية.

من الكبائر، وكثيراً من الصغائر لتحترز الأمة عنها.
 وذكر مسائل الصلاة إجمالاً، واستعمل فيها لفظ إقامة الصلاة". ففصلها رسول الله ﷺ بالأذان، وبناء المساجد، والجماعة، والأوقات، وكذلك ذكر مسائل الزكاة بالاختصار، وفصلها رسول الله ﷺ أَيْمًا تفصيل، وذكر الصوم في سورة البقرة، وذكر الحج أيضاً فيها وفي سورة الحج. وذكر الجهاد في سورة البقرة والأنفال، وفي مواضع متفرقة أخرى، وذكر الحدود في المائدة والنور، وذكر المواريث في سورة النساء، وبَيَّن أحكام النكاح والطلاق في سورة البقرة والنساء والطلاق وغيرها من السور.

التعريضات التي تحتاج إلى البيان:

وإذا عرفت هذا القسم الذي تَعَمُّ فائدته جميع الأمة فههنا قسم آخر، وهو:
 أنه كان يُعَرِّضُ عليه ﷺ سؤال، فيجيب عنه.

أو تقع حادثة يجود فيها المؤمنون بأنفسهم وأموالهم، ويمسك المنافقون ويتبعون الهوى، فيمدح الله تعالى المؤمنين، ويذم المنافقين ويتوعدهم.

أو تقع حادثة من قبيل الغلبة على الأعداء، وكف ضررهم، فَيُصِرُّ الله تعالى بذلك على المؤمنين، ويذكّرهم بتلك النعمة.

أو تحدث حالة تحتاج إلى تنبيه، أو زجر، أو إشارة، أو إيماء، أو أمر، أو نهي، فينزل الله تعالى في ذلك الباب.

فما كان من هذا القبيل فلا بد للمفسر من ذكر تلك القصص بطريق الإحمال.

عرفت هذا القسم. أي عرفت القسم الذي فيه خطاب عام، ولا يحتاج إلى معرفة شأن بروه. فيجيب عنه. كما سألوا عن الأهلة، وعن القتال في الأشهر الحرم، وعن الكلاله، فأجيب عنه في القرآن يتوعدهم: كما وقع ذلك في عزوة توك. ويذكّرهم بتلك النعمة: كما وقع ذلك في عروة الأحزاب. إيماء: هو الإشارة الدقيقة.

أمثلتها:

وقد وردت التعريضات بقصة غزوة بدر في سورة الأنفال، وبقصة غزوة أُحُد في سورة آل عمران، وبقصة غزوة الخندق في سورة الأحزاب، وبقصة صلح الحديبية في سورة الفتح، وبقصة بني النضير في سورة الحشر، وجاء الحث والتحريض على فتح مكة وغزوة تبوك في سورة البراءة، ووردت الإشارة إلى حجة الوداع في سورة المائدة، وجاءت الإشارة إلى قصة زواج رينب ﷺ في سورة الأحزاب، وإلى تحريم السُّرِّيَّة في سورة التحريم، وإلى قصة الإفك في سورة النور، وجاء ذكر استماع وفد الجن تلاوة النبي ﷺ في سورة الجن والأحقاف، وذكرت قصة مسجد الضُّرَّار في سورة البراءة، وأشير إلى قصة الإسراء في أول سورة بني إسرائيل.

هذه الآيات من التذكير بأيام الله:

وهذا القسم من الآيات الكريمة في الحقيقة نوع من أنواع التذكير بأيام الله، ولكن لما كان حل الإشارات فيها متوقفاً على سماع القصة ميزت عن سائر أقسامها.

الباب الثاني

في بيان وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بالنسبة إلى أهل هذا العصر،

وإزالة ذلك الخفاء بأوضح بيان

يُعلم أن القرآن العظيم قد نزل في لغة العرب الفصحى المبينة الواضحة، وفهم العرب معنى منطوقه بسليقتهم التي جُبلوا عليها، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُنْظَ لَمْسِ﴾ . وقال تعالى: ﴿قَرْ، نَا عَرَتْ لَعَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ﴾ . وقال تعالى: ﴿كُنْظَ أَكْمَتْ، ابْنَتْهُ شَمْ فَضَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَسْبٍ﴾ . وكان من مرضي الشارع الحكيم عدم الخوض في تأويل المشاهدات القرآنية، وتصوير حقائق الصفات الإلهية، وتسمية المبهم، واستقصاء القصص، وما أشبه ذلك، ولذلك قلما كانوا يسألونه ﴿عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمْ يُرْفَعْ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْأَحَادِيثِ إِلَّا شَيْءٌ قَلِيلٌ.

ولكن لما مضت تلك الطبقة وتدخل العجم، وثركت تلك اللغة الأصلية، واستعصى فهم المراد في بعض المواضع، ومست الحاجة إلى تفتيش اللغة والنحو، وحجرت الأسئلة والأجوبة فيما بين الناس، وصُنفت كتب التفسير، لزم أن نذكر هذه المواضع الصعبة إجمالاً، ونورد لها أمثلة حتى لا يحتاج المفسر عند الخوض فيها إلى زيادة بيان، ولا يضطر إلى المبالغة في الكشف عنها وشرحها.

أسباب صعوبة فهم المراد من الكلام:

فنقول: إن عدم الوصول إلى المراد من اللفظ يكون:

أحياناً بسبب استعمال لفظ غريب، وعلاجه: نقل معنى اللفظ عن الصحابة والتابعين، وسائر أهل المعاني. وأحياناً لقلة الاطلاع على الناسخ والمنسوخ.

الفحّة. تأنيث الفحّ: الخالص الحالي من الشوائب الغريبة. **أهل المعاني** هم الدين لهم باع طويل وقدم راسح في بيان معنى اللفظ القرآني، كالزجاج والفراء وغيرهما.

(١) الزخرف: ٢. (٢) يوسف: ٢. (٣) هود: ١.

وأحياناً للغفلة عن أسباب النزول.

وأحياناً بسبب حذف المضاف أو الموصوف أو غيرهما.

وأحياناً لإبدال شيء بشيء، أو إبدال حرف بحرف، أو اسم باسم، أو فعل بفعل، أو لذكر الجمع مكان المفرد، أو بالعكس، أو لالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

وأحياناً لتقديم ما حقه التأخير أو بالعكس.

وأحياناً بسبب انتشار الضمائر، أو تعدد المراد من اللفظة الواحدة.

وأحياناً بسبب التكرار والإطناب.

وأحياناً بسبب الاختصار والإيجاز.

وأحياناً بسبب استعمال الكناية والتعريض والمتشابه والمجاز العقلي.

فينبغي للإخوة السعداء أن يطبعوا في مبدأ الكلام على حقيقة هذه الأمور، وعلى شيء من أمثلتها، ويكتفوا بالرمز والإشارة في مواضع التفصيل.

الفصل الأول

في شرح غريب القرآن

وأحسن الطرق في شرح الغريب ما صَحَّ عن ترحُّمان اقرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن طريق ابن أبي طلحة، واعتمد عليه البخاري في "صحيحه" غالباً، ثم صريق الضحاك عن ابن عباس،

مبدأ الكلام يعني الكلام في تفسير القرآن الكريم **عبد الله بن عباس رضي الله عنه** هو صحابي جليل، حرَّ هذه الأمة، وُلد بمكة سنة ٣ ق هـ، وتوفي بالصفاء سنة ٦٨ هـ. **ابن أبي طلحة** هو علي بن أبي طلحة ساهم في المحارق الهاشمي ولأهله، ولم يصلنا عن نشأته وحياته شيء. **البحاري** هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: إمام الدنيا وجبل الحفظ، صاحب الصحيح، وُلد سنة ١٩٤ هـ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ. **الضحاك** هو ضحاك بن مزاحم الهلالي ولأهله، البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر، مات سنة ١٠٥ هـ.

وأجوبة ابن عباس عن سؤالات نافع بن الأزرق، وقد ذكر السيوطي هذه الطرق الثلاث في كتابه: 'الإتقان في علوم القرآن'. ثم ما نقله البخاري من شرح الغريب عن أئمة التفسير، ثم ما رواه سائر المفسرين عن الصحابة والتابعين وأتباعهم رضي الله عنهم من شرح غريب القرآن.

وأرى من المناسب أن أجمع في الباب الخامس من هذه الرسالة جملة صالحة من شرح غريب القرآن مع بيان أسباب النزول، وأجعلها رسالة مستقلة، فمن شاء ضمها إلى هذه الرسالة ومن شاء أفردا على حدة، وللناس فيما يشقون مذاهب.

القدماء ربما يفسرون اللفظ بلازم معناه

ومما ينبغي أن يُعلم هنا أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ربما يفسرون اللفظ بلازم معناه، وقد يتعقب المفسرون المتأخرون ذلك التفسير القديم من جهة تتبع اللغة، وتفحص موارد الاستعمال. والغرض المطلوب في هذه الرسالة: سرد تفسيرات السلف بعينها، ولنقدها وتنقيحها موضع آخر غير هذا الموضع، فلكل مقام مقال، ولكل نكتة مجال.

الفصل الثاني

في معرفة الناسخ والمنسوخ

من المواضيع الصعبة في علم التفسير التي مباحثها كثيرة، والاختلاف فيها واسع معرفة الناسخ

نافع بن الأزرق الحروري: من رؤس الخوارج، قتل سنة ٦٥ هـ. السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين: إمام حافظ، ولد سنة ٨٤٩ هـ، وتوفي سنة ٩١١ هـ. له نحو ٦٠٠ مصنف.

الإتقان إلخ: كتاب ماتع جامع مطبوع، وضعه السيوطي كمقدمة لتفسيره، ذكر فيه علوم القرآن في ثمانية أبواب، وشرح الغريب في النوع ٣٦. أئمة التفسير كمجاهد وأحسن وقتادة وغيرهم. جملة صالحة: أي مقداراً كافياً. رسالة مستقلة. سماها الإمام المصنف بفتح الخبير بما لاند من حفظه في علم التفسير. على حدة: لم يضم فتح الخبير مع المور الكبير في طبعا هذا؛ لعدم شموله في الدرس في المدارس الإسلامية بالهند. وتفحص موارد الاستعمال: مع أن تعقيبهم غير ملائم. الرسالة: يعني فتح الخبير.

والمنسوخ، ومن أقوى وجوه الصُّعوبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين.

معنى النسخ عند المتقدمين:

والذي وضع لنا باستقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون "السح" في معناه اللغوي الذي هو "إزالة شيء بشيء" لا بمعنى مصطلح الأصوليين، فمعنى السخ عندهم: "إزالة بعض أوصاف الآية بآية أخرى" سواء كان ذلك:

ببيان انتهاء مدة العمل.

أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر.

أو ببيان كون القيد اتفاقياً.

أو بتخصيص عام.

أو ببيان الفارق بين المنصوص وبين ما قيس عليه ظاهراً.

أو بإزالة عادة من العادات الجاهلية.

أو برفع شريعة من الشرائع السابقة.

عدد الآيات المنسوخة عند المتقدمين:

فأتسع باب النسخ عندهم، وكثر جولان العقل فيه، وأُسِّعت دائرة الاختلاف لديهم، ولذلك بلغت الآيات المنسوخة عندهم إلى خمس مائة آية، بل إذا حققت النظر تجددها غير محصورة، وأما

استقراء استقراء الأمور: تتبعها لمعرفة أحوالها وحواصها. **مصطلح الأصوليين** السح عند الأصوليين: بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي، متراج عنه، حتى لا يجوز امتثاله، وبعبارة أخرى: إنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثباته مع تراخيه عنه، ومعزى الحدين: أن المسوخ لا يبقى حكمه في وجه من الوجوه، ولا يكون له محمل من المحامل، ولا يجوز امتثاله في وقت من الأوقات.

نابة أخرى فالنسخ عند المتقدمين مطلق التغير الذي يطرأ على بعض الأحكام. **شريعة** القابول والحكم من الأحكام. **غير محصورة** إذ لو عدّ مثل ذلك في النسخ والمنسوخ لعدّ جميع القرآن منه؛ إذ كُله أو أكثره تعبير ما كان عليه المشركون وأهل الكتاب من قبل.

المنسوخ حسب اصطلاح المتأخرين فلا يتجاوز العدد القليل، لاسيما حسب ما اخترناه من التوجيه.

الآيات المنسوخة عند المتأخرين:

وقد ذكر الشيخ جلال الدين السيوطي في "الإتقان" عن بعض العلماء ما ذكرناه آنفاً بتقرير مبسوط كما ينبغي، ثم حوّر المنسوخ طبق رأي المتأخرين موافقاً لرأي الشيخ ابن العربي فعده قريباً من عشرين آية، وللفقير في أكثرها نظر، فنورد كلامه مع التعقيب.

فمن البقرة:

١ قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية منسوخة، قيل: بآية المواريث، وقيل: بحديث: **لا وصية لوارث**، وقيل: بالإجماع، حكاه ابن العربي.

قلت: بل هي منسوخة بآية: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، وحديث: **لا وصية** مبين للنسخ.

٢ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ صَاعٌ مَسْكِينٍ﴾ قيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مَعَكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وقيل: محكمة، **ولا مقدرة**.

قلت: عندي وجه آخر، وهو أن المعنى: وعلى الذين يطيقون الطعام فدية، هي طعام مسكين، فأضمر قبل الذكر؛ لأنه متقدم رتبة، وذكر الضمير؛ لأن المراد من الفدية هو الطعام، والمراد منه صدقة الفطر،

حرّر الكتاب: حسنة وأصلحه. **ابن العربي**: هو أبو بكر محمد بن عبد الله القاضي المالكي المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي. ولد سنة ٤٦٨ هـ، وتوفي سنة ٥٤٣ هـ، وهو غير الشيخ ابن عربي الصوفي.

التعقيب: عَقِبَ عَلَى فلان: تَبِعَ عِيَّوَهُ وَأَعْلَاطَهُ، وَعَقَّبَ الشَّيْءَ: أَتَى بِشَيْءٍ بَعْدَهُ. **بآية المواريث**. يعني بقوله تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ" الآيات من سورة النساء ١١-١٤. **لا وصية لوارث**. رواه عشرة من الصحابة، وحرّجه أصحاب السنن غير النسائي عن أبي أمامة، وغير أبي داود عن عمرو بن خارجة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (انتهى). وتلقته الأئمة بالقبول. **ولا مقدرة**: والآية للشيخ الفاني، وصمير "يطيقونه" يرجع إلى الصوم. **يطيقون الطعام**: أى يطيقون الإطعام، لكونهم أصحاب نُصَب بقدره ممكنة.

(١) البقرة: ١٨٠. وثمام الآية: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا لَوَصَّيَّةٌ لَوْلَدَيْنِ وَلَأَقْرَبِينَ مَعْرُوفٍ حَقًّا عَلَى الْمُنْفِقِينَ﴾.

(٢) البقرة: ١٨٤. (٣) البقرة: ١٨٥.

عَقَّبَ اللهُ تَعَالَى الأَمْرَ بِالصِّيَامِ فِي هَذِهِ الآيَةِ بِصَدَقَةِ الْفِطْرِ كَمَا عَقَّبَ الآيَةَ الثَّانِيَةَ بِتَكْبِيرَاتِ الْعِيدِ.

٣ قوله تعالى: ﴿أَحْرَجَكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ الْفِطْرِ وَأَسْأَلُكُمْ فِيهَا مَالَهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَخْرُونَ فِيهِ مِنْهَا وَمِنْكُمْ الْيَهُودُ وَالنَّسَارَىٰ ۚ قُلْ إِنَّ مَالَكُمْ يَوْمَئِذٍ فِي يَدَيْهِمْ ۚ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكُمْ كَنْزُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۚ﴾^(١) نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ۚ لَأَنْ تَقْتَضَوْا مَا مُوَفَّقَةٌ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالْوَطْءِ بَعْدَ النُّومِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَحَكَى قَوْلًا آخَرَ: أَنَّهُ نَسَخَ لَمَّا كَانَ بِالسَّنَةِ.

قلت: معنى "كما كتب" التشبيه في نفس الوجوب فلا نسخ، إنما هو تغيير ما كان عندهم قبل الشرع، ولم يحد دليلاً على أن النبي ﷺ شرع لهم ذلك، ولو سُلِّمَ فإِذَا كَانَ ذَلِكَ بِالسَّنَةِ.

٤ قوله تعالى: ﴿سَبَّحْتَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ۚ﴾ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَسَبَّحْتَ النَّبِيَّ ۚ﴾^(٢) أخرج ابن جرير عن عطاء بن ميسرة.

قلت: هذه الآية لا تدل على تحريم القتال، بل تدل على تجويزه، وهي من قبيل تسليم العلة وإظهار المانع، فالمعنى: أن القتال في الشهر الحرام كبير شديد، ولكن الفتنة أشد منه، فحار في مقاستها، وهذا التوجيه ظاهر من سياقها كما لا يخفى.

٥ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ مِنْهُمْ ذُرِّيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ ۚ﴾ الآية منسوخة بآية: ﴿أَرْزُقْهُ

مَقْتَضَاهَا أَيُّ مَقْصُودِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ. السَّنَةُ أَيُّ أَنَّهُ نَسَخَ لَمَّا كَانَ مَعْمُولًا عَنْهُمْ، وَثَابِتًا بِالسَّنَةِ. هُوَ يَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَحْرَجَكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ الْفِطْرِ ۚ﴾ نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ۚ لَأَنْ تَقْتَضَوْا مَا مُوَفَّقَةٌ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالْوَطْءِ بَعْدَ النُّومِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَحَكَى قَوْلًا آخَرَ: أَنَّهُ نَسَخَ لَمَّا كَانَ بِالسَّنَةِ.

البقرة: ١٨٧، البقرة: ١٨٣، البقرة: ٢١٧، وَنَحْوُ الْآيَةِ: ﴿سَبَّحْتَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ۚ﴾ نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ۚ لَأَنْ تَقْتَضَوْا مَا مُوَفَّقَةٌ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالْوَطْءِ بَعْدَ النُّومِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَحَكَى قَوْلًا آخَرَ: أَنَّهُ نَسَخَ لَمَّا كَانَ بِالسَّنَةِ.

البقرة: ٢٤٠، وَالْآيَةُ تَتِمُّهَا: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ مِنْهُمْ ذُرِّيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ ۚ﴾ نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ۚ لَأَنْ تَقْتَضَوْا مَا مُوَفَّقَةٌ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالْوَطْءِ بَعْدَ النُّومِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَحَكَى قَوْلًا آخَرَ: أَنَّهُ نَسَخَ لَمَّا كَانَ بِالسَّنَةِ.

شهر وعشر ٥ . والوصية منسوخة بالميراث، والسكى ثابتة عند قوم، منسوخة عند آخرين بحديث: **"ولا سكى"**.

قلت: هي كما قال منسوخة عند جمهور المفسرين، ويمكن أن يقال: يستحب أو يجوز للميت الوصية، ولا يجب على المرأة أن تسكى في وصيته، وعليه ابن عباس، وهذا التوجيه ظاهر من الآية.

٦ . قوله تعالى: **﴿وَلَا تُؤْثِرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَخْفَوْا بَعْضَكُمْ مِنْ آيَةِ اللَّهِ﴾** . الآية منسوخة بقوله بعده: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** (١).

قلت: هو من باب تخصيص العام، بينت الآية المتأخرة أن المراد ما في أنفسكم من الإحلاص والنفاء، لا من أحاديث النفس التي لا اختيار فيها، فإن التكليف لا يكون إلا فيما هو في وسع الإنسان.

ومن آل عمران:

٧ . قوله تعالى: **﴿إِنْقُضُوا اللَّهَ حَقُّ قُدْرَتِهِ﴾** . قيل: إنه منسوخة بقوله: **﴿وَقِفُوا لِلَّهِ مَا أَنْصَعْتُمْ﴾** . وقيل: لا، بل هو محكم.

وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية.

قلت: **﴿حَقُّ قُدْرَتِهِ﴾** في الشرك والكفر، وما يرجع إلى الاعتقاد، **﴿مَا أَنْصَعْتُمْ﴾** في الأعمال: من لم يستطع الوضوء بيمينه، ومن لم يستطع القيام يصلي قاعداً، وهذا التوجيه ظاهر من سياق الآية، وهو قوله: **﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**.

ومن النساء:

٨ . قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَغَاثُوهُنَّ نَصِبَهُنَّ﴾** (٢) الآية منسوخة بقوله: **﴿وَأُولُوا**

ولا سكى. لم أجد هذا اللفظ في حديث مرفوع، إنما هو قول عطاء في السحاري (٢: ٨٠٤).

البقرة: ٢٣٤، الآية بتمامها: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْفِقُونَ مَكَتًا وَبَدَلُوا رُوحًا فَغَاثُوا أَنْفُسَهُنَّ سُنِيعَةً سُنِيعَةً وَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُجْزَى عَنْهُنَّ أَشْيَاءٌ وَلَا يَحْزَنُ عَلَيْهِنَّ وَلَا خُصٌّ عَلَيْهِنَّ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ غَيْرَ﴾** (٣) البقرة: ٢٨٤. البقرة: ٢٨٦. آل عمران: ١٠٢. (٤) التغابن: ١٦. (٥) النساء: ٣٣. (٦) الأنفال: ٧٥، والأحزاب: ٦.

١٢ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجَّوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمُ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية منسوخة بقوله: ﴿وَإِنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(١)

قلت: معناه: إن اخترت الحكم فاحكم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم، فالحاصل: أنه لنا أن نترك أهل الذمة أن يرفعوا القضية إلى زعمائهم، فيحكموا بما عندهم، ولنا أن نحكم بما أنزل الله علينا.

١٣ قوله تعالى: ﴿أَوْ أَجْرًا مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ منسوخ بقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا دُونِي عَذْلًا مِنْكُمْ﴾ . قلت: قال أحمد بظاهر الآية، ومعها عند غيره: أو أجرا من غير أقاربكم، فيكونان من سائر المسلمين.

ومن الأنفال:

١٥ قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَرُورٌ﴾ الآية منسوخة بالآية بعدها.

قلت: هي كما قال منسوخة.

نظائر الآية: أي يحور عند أحمد **هـ** في أرض العربة إذا لم يجد مسمي أو يشهد كافرين. **الآية بعدها** وهي قوله تعالى: ﴿يَسْ حُفِّ نَحْمٌ عِمْكَ وَعِلْمُ أَرْبٍ فَيْكُمُ صَغْفَا وَبِرْ كُنْ مَسْكُمُ مَائَةٌ صَارَةٌ عَقْلُونَا مَائِسْ وَابْ يَكُنْ مَسْكُمُ نَفْ يَعْنُو نَفْسِ بَرْدَنْ نَهْ وَأَنَّهُ مَعَ لَضَرْبِ﴾ (الأهـال: ٦٦)

المائدة: ٤٢، وتام الآية: ﴿وَأَنْ تَعْلَمَ غَنَاهُمْ فَهُوَ يُضْرُوكَ سِتْرًا﴾ وَرَ حَكَمْتَ فَأَحْكُمَ بِهِمْ فَالْقِسْطَ إِنَّ اللَّهَ مُخْلِصُ الْقِسْطِ ﴿٤٩﴾، وتام الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُرْسِلَ بِهِ﴾ فَإِنْ بَوَلَوْا فَاعْلَمْ أَنَّ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴿٥٠﴾ وَرَ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥١﴾

المائدة: ١٠٦، والآية بتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا حَتَّى تَسْمَعُوا مِنَ الْمَدِينَةِ فَإِنْ فَتْنًا فَنَصَرُوا إِنْ أُنْشِئَ صَرْحٌ فَأَسْمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَاصْنَعُوا الْمَوْتِ فَخُشُونَهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا أَخَذَ أَلْمُوتَ مِنْكُمْ وَلَوْلَا كَانَ دُفْنَىٰ أَنْتُمْ لَأَخَذْتُمْ مِنْهُمْ أَفْسَاسًا ۚ فَاصْنَعُوا الْمَوْتِ فَخُشُونَهُمْ ۚ﴾

الطلاق: ٢، والآية بتمامها: ﴿وَمِنْ أَهْلِهَا مَنْ أَهْلُهَا يُكْفَرُ مِنْكُمْ كُفْرًا كَثِيرًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِكُونَ﴾. والآية بتمامها: ﴿وَمِنْ أَهْلِهَا مَنْ أَهْلُهَا يُكْفَرُ مِنْكُمْ كُفْرًا كَثِيرًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِكُونَ﴾. والآية بتمامها: ﴿وَمِنْ أَهْلِهَا مَنْ أَهْلُهَا يُكْفَرُ مِنْكُمْ كُفْرًا كَثِيرًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِكُونَ﴾.

مَاتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَعْزُبُوا عَنْكَ مِنَ الْإِيمَانِ فَكَفَرُوا ۚ تِلْكَ الْقَوْمُ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

ومن البراءة:

١٥ قوله تعالى: ﴿هَافِرُوا هِفَا﴾ مسوخة بآيات العذر، وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ عَنِ﴾
الْأَعْمَى حَرْجٌ ۖ وَالْآيَةُ، وقوله تعالى: ﴿يَسْ عَلَى نَصْفٍ﴾ ۖ الْآيَتَيْنِ، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا
كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ ۖ

قلت: خفافاً أي مع أقل ما يتأتى به الجهاد من مركوب وعبد للخدمة ونفقة يقتنع بها، وثقالاً أي
مع الخدم الكثيرين، والمراكب الكثيرة، فلا نسخ، أو نقول: ليس النسخ متعيناً.

ومن النور:

١٦ قوله تعالى: ﴿لَرَى لَأَسْخُحَ الْأَرْضَ﴾ الآية مسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَكْخُوا الْأَرْضَ﴾ ۖ
قلت: قال أحمد بظاهر الآية، ومعناه عند غيره: أن مرتكب الكبيرة ليس بكفء إلا للرائية، أو
لا يستحب له اختيار الزانية، وقوله: ﴿وَأَكْخُوا الْأَرْضَ﴾ ۖ إشارة إلى الرنا والشرك، فلا نسخ، وأما
قوله: ﴿وَأَكْخُوا الْأَرْضَ﴾ ۖ فعام، لا ينسخ الخاص.

١٧ قوله تعالى: ﴿لَسْتُمْ أَهْلٌ لَّيَسَّرَ لَكُمْ﴾ الآية قيل: مسوخة، وقيل: لا، ولكن
تعاون الناس في العمل بها.

متعباً بل يحب عليه عد هجوم العدو. مرتكب الكبيرة يعي الوقاح والربا. لا يسحب له أي لمسه العفيف.
إبراء: ٤١، وتام الآية: ﴿وَجَهْدُوا أَمْوَالَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَكُمْ حَرْجٌ كَمْ أَنْ كُمْ يَنْفِرُونَ﴾ ۖ
الفتح: ١٧ - التوبة: ٩١، ٩٢. التوبة: ١٢٢. النور: ٣، والآية تمامها: ﴿لَرَى لَأَسْخُحَ الْأَرْضَ﴾ ۖ
مفسره: ﴿لَرَى لَأَسْخُحَ الْأَرْضَ﴾ ۖ لا ربي أو مفسرٌ ۖ وخزم ذلك عن المؤمنين ۖ النور: ٣٢، والآية بتمامها:
﴿وَأَكْخُوا الْأَرْضَ﴾ ۖ وَلَسْتُمْ أَهْلٌ لَّيَسَّرَ لَكُمْ ۖ وَأَكْخُوا الْأَرْضَ ۖ وَأَكْخُوا الْأَرْضَ ۖ وَأَكْخُوا الْأَرْضَ ۖ
عبيد ۖ النور: ٥٨، والآية بتمامها: ﴿لَسْتُمْ أَهْلٌ لَّيَسَّرَ لَكُمْ ۖ وَأَكْخُوا الْأَرْضَ﴾ ۖ وَأَكْخُوا الْأَرْضَ ۖ
سَعَوْا ۖ تَحْتَمُّ مَكْمَلَتُ مَرَبٍ مِنْ قَبْلِ صَوْدِ الْفَجْرِ وَحِينَ يَصْفُونَ سَكْمٌ مِنْ أَهْبَةِ وَمِنْ عَدِ صَوْدِ الْعَبَسِ
ثَلَاثُ عَوْرَتٍ كَمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَشِيَّةُ خُتَابٍ بَعْدَهُنَّ طُوفُونَ عَنْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۖ

قلت: مذهب ابن عباس رضي الله عنه: أنها ليست بمنسوخة، وهذا أوجه وأولى بالاعتماد.

ومن الأحزاب

١٨- قوله تعالى: ﴿لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ نَعْدٍ﴾ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَحْبَبْنَا لَكَ أَرْوَاجَكَ﴾ الآية.

قلت: يحتمل أن يكون الناسخ مقدماً في التلاوة، وهو الأظهر عندي.

ومن المجادلة

١٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الرَّسُولُ فَقَدِّمُوا﴾ الآية منسوخة بالآية بعدها.

قلت: هذا كما قال.

ومن الممتحنة

٢٠- قوله تعالى: ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ قيل: منسوخ بآية السيف،

بالآية بعدها: وهي قوله تعالى: ﴿سُفِقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ خَوَاجِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ نَدَاءَ اللَّهِ فِيكُمْ فاقْبِمُوا لِنَصْوَةِ اللَّهِ وَهَؤُلَاءِ الرَّكُوعُ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَنْتُمْ حِمْرٌ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة ١٣). بآية السيف: قوله تعالى: ﴿وَقُلُوا لِلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (التوبة ٣٦).

الأحزاب: ٥٢، ونظام الآية: ﴿لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ نَعْدٍ وَلَا أَنْ تَسْأَلَ مِنْ أَرْوَاحٍ وَلَوْ أَنْعَلَتْ خُسْفَانٌ إِلَّا مَا مَكَتَ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾. الأحزاب: ٥٠، ونظام الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أُخْلِبَ لَكَ رُوحُكَ أَلْتَنَّى، أَتَيْتَ أَخَوَهُمْ وَمَا مَكَتَ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبِاتَ عَمَتُكَ وَبِاتَ عَمَتُكَ وَبِاتَ حَالَتُكَ وَبِاتَ حَلَّتْكَ تَنَّى هَاجِرٌ مَعَكَ وَاتَرَّةٌ مُؤَمَّةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسُ نَسِيِّ إِنْ رُدَّ أَلْتَنَّى إِنْ يَسْتَكْبِحُ خَالَصَهُ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَسَا مَا فَرَضَا عَلَيْهِ فِي رُوحِهِ وَمَا مَكَتَ أَيْمَنُهُمْ لَكَيْلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. المجادلة: ١٢، والآية تمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَحْنُ الرَّسُولُ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ خَوَاجِكُمْ صَدَقْتُمْ ذَلِكَ حِمْرٌ لَكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ الممتحنة: ١١، ونظام الآية: ﴿وَإِنْ فَانَكُمُ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَانْكُرُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: بآية الغنيمة، وقيل: محكم.

قلت: الأظهر أنها محكمة، ولكن الحكم في المهادنة وعند قوة الكفار.

ومن المزمّل:

٢١- قوله تعالى: ﴿قَدْ آتَىٰ الْإِنسَانُ إِلَّا قَبِيلًا ۝﴾ منسوخ بآخر السورة، ثم نُسخ الآخر بالصلوات الخمس. قلت: دعوى النسخ بالصلوات الخمس غير مُتَّجِهَةٍ، بل الحق: أن أول السورة في تأكيد التّنب إلى قيام الليل، وآخرها في نسخ التأكيد إلى مجرد التّنب. قال الشّيوطي موافقاً لابن العربي: فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في بعضها، ولا يصح دعوى النسخ في غيرها، والأصح في آيتي الاستئذان والقسمة الإحكام وعدم النسخ، فصارت تسع عشرة آية، وعلى ما حرّرنا لا يتعين النسخ إلا في خمس آيات.

الفصل الثالث

في معرفة أسباب النزول

ومن المواضع الصّعبة أيضاً معرفة أسباب النزول، ووجه الصّعوبة أيضاً اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين.

معنى "نزلت في كذا" عند المتقدمين:

والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين ١٠: أنهم كانوا لا يستعملون: "نزلت في كذا"

بآية الغنيمة قوله تعالى: ﴿وَعَمَّوْا ۚ ثُمَّ انْصَبْ مِنْ سُبْحَىٰ ۖ فَانَّ لِلَّهِ فَتْنَةً ۖ فَنُزِّلُوا وَلَدَىٰ آلِ فَرْزَىٰ وَلَنَسْمَنَ ۖ وَلَنَمَسْكَنَ ۖ وَلَنَنَاسِكَنَ ۖ﴾ (الأنفال: ٤١). المهادنة المصالحة، هادئته مهادنة: صاحبه ووادعه. بأخرة السورة أي بقوله تعالى: ﴿عَمَّوْا ۚ ثُمَّ انْصَبْ مِنْ سُبْحَىٰ ۖ فَانَّ لِلَّهِ فَتْنَةً ۖ فَنُزِّلُوا وَلَدَىٰ آلِ فَرْزَىٰ وَلَنَسْمَنَ ۖ وَلَنَمَسْكَنَ ۖ وَلَنَنَاسِكَنَ ۖ﴾ (المرمل: ٢٠).

غير مُتَّجِهَةٍ، أي غير موجّهة. آيتي الاستئذان الح. آية الاستئذان هي الآية السابعة عشر، وآية القسمة هي الآية التاسعة. خمس آيات. وهي الآية الأولى، والخامسة، والرابعة عشرة، والثامنة عشرة والتاسعة عشرة.

١٠ المزمّل ٢.

لمجرد بيان الحادث الذي وقع في زمنه ﷺ، وكان سبباً لنزول الآية، بل ربما يدكرون بعض ما صدقت عليه الآية مما حدث في زمنه ﷺ، أو حدث بعده ﷺ، فيقولون: "نزلت في كذا"، ولا يلزم في هذه الصورة انطباق جميع القيود المذكورة في الآية، بل يكفي انطباق أصل الحكم فحسب. وقد يُنبون سؤالاً سئل عنه رسول الله ﷺ، أو حادثة حدثت في عهد النبي ﷺ، واستنبط ﷺ حكمها من الآية وتلاها عليهم في ذلك الباب، فيقولون: "نزلت في كذا"، وربما يقولون في هذه الصورة: "فأنزل الله تعالى قوله كذا" أو "فنزلت".

وكأنه إشارة إلى أن استنباطه ﷺ ذلك الحكم من الآية، وإلقاءها في تلك الساعة في خاطره المبارك أيضاً نوعٌ من الوحي والتفث في الرؤى، فلذلك يمكن أن يقال: "فأنزلت"، ولو عبر أحد عن ذلك بتكرار نزول الآية لكان له مسأغ أيضاً.

روايات المحدثين التي لا علاقة لها بأسباب النزول:

ويذكر المحدثون تحت آيات القرآن الكريم كثيراً من الأشياء ليست هي في الحقيقة من قسم سبب النزول، مثل: استشهاد الصحابة رضي الله عنهم في مناظراتهم بآية، أو تمثلهم بها، أو تلاوته ﷺ آية للاستشهاد في كلامه الشريف، أو رواية حديث يوافق الآية في أصل العرض، أو تعيين موضع النزول، أو تعيين أسماء المذكورين في الآية بطريق الإهام، أو بيان طريق التلطف بكلمة قرآنية، أو فضل سور وآيات من القرآن، أو بيان طريقة امتثاله ﷺ بأمر من أوامر القرآن الكريم، فليس شيء من هذا في الحقيقة من أسباب النزول، وليس من شروط المفسر الإحاطة بها.

شرط المفسر في باب أسباب النزول:

إنما شرط المفسر معرفة أمرين:

الأول: معرفة تلك القصص التي تعرض الآيات لها، فإنه لا يتيسر فهم إيماء الآيات إلا بمعرفتها.

مناظرتهم: المناظرة: المحاثة العنمية. تمثلهم: تمثل بالشيء: ضربه مثلاً. تعرض: عرض له بالقول: قال قولاً وهو يعنيه ويريده، ولكن لم يصرح به ولم يبينه.

والثاني: معرفة تلك القصة التي تخصّص العامّ، أو نحو ذلك من وجوه صرف الكلام عن الظاهر، فإنه لا يتأتى فهم المقصود من الآيات بدونها.

قَصَصُ الأنبياء من روايات أهل الكتاب:

ومما ينبغي أن يُعلم هنا: أن قصص الأنبياء السابقين لم تُذكر في الأحاديث إلا قليلاً، فالقصص الطويلة العريضة التي يتجشم المفسرون روايتها، كُتِبَتْ منقولة عن علماء أهل الكتاب إلا ما شاء الله تعالى، وقد جاء في صحيح البخاري مرفوعاً: **لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ**.

معنى آخر لقولهم: "نزلت في كذا":

ويُعلم أيضاً أن الصحابة والتابعين **رضي الله عنهم** كانوا يذكرون قصصاً حزينة لبيان مذاهب المشركين واليهود، وعاداتهم الخاهلية لتتضح لها عقائدهم وتقاليدهم، ويقولون: "نزلت الآية في كذا" ويريدون بذلك: أنها نزلت في مثل هذه سواء كانت تدك بعينها، أو ما شابهها، أو ما قارها، ويقصدون إظهار تلك الصورة لا خصوص القصص، بل يذكرونها لأجل أن هذه صورة صادقة لتلك الأمور الكلية، ولهذا تختلف أقوالهم في كثير من المواضع، وكل يجزئ الكلام إلى حابه، وقصدهم في الحقيقة واحد، وإى هذه النكتة أشار أبو الدرداء **رضي الله عنه** حيث قال: لا يكون الرجل فقيهاً حتى يُحمِلَ الآية الواحدة على محامل متعددة".

صورة قصة ولا قصة لها:

وعلى هذا الأسلوب كثيراً ما يُذكر في القرآن العظيم صورتان: صورة سعيد، ويُذكر فيها بعض أوصاف السعادة، وصورة شقي، ويُذكر فيها بعض أوصاف الشقاوة، ويكون العرض من ذلك بيان أحكام تلك الأوصاف والأعمال لا التعريض بشخص معين، كما قال سبحانه وتعالى:

يتجشم. تجشم الأمر: تكلفه على مشقة. **إلا ما شاء الله** كقصّة موسى والحضر **عليه السلام** المروية في 'صحيح البخاري'. **ولا تكذبوهم** البخاري في كتاب التفسير ص ٦٤٤ و ١٠٩٣. محامل متعددة أخرجه ابن سعد وغيره.

«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا مِّمَّا كَرَّمْنَا مِمَّا كَرَّمْنَا وَوَصَّيْنَاهُ أَنْ يَكُونُ إِحْسَانًا» . ثم ذكر صورتين: صورة سعيد، وصورة شقي، وكذلك قوله تعالى: «وَيَذَرْنَاهُمْ فِي مَا يَكُونُونَ لَا نَبِيَّ لَهُمْ» . وقوله تعالى: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا مَاذَا أُرْسِلْتُمْ فِيهَا قَالُوا أَتُحَدَّثُكُمْ تِلْكَ الْأَنْبِيَاءُ» . وعلى مثل هذا تُحمل قوله تعالى: «وَصَرَفَ اللَّهُ مَالَهُمْ فِي سَبِيلِهِ» . وقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ فِيهَا مَعَكُمْ» . وقوله تعالى: «وَذُكِّرْتُمْ» . وقوله تعالى: «وَلَا تَصْعَقُكُمْ أَهْلُهَا» . ولا يلزم في هذه الصور أن تتوفر تلك الخصوصيات بعينها في شخص، كما لا يلزم في قوله تعالى: «كَمَثَلِ الْفَخَّارِ» أن تكون حبة بهذه الصفة، إنما المقصود: تصوير زيادة الأجر لا غير، فإن وُجدت صورة توافق ذلك في أكثر الخصوصيات، أو في كلها، كان ذلك من قبيل: "لزوم ما لم يلزم".

قد يفرضون السؤال والجواب في التفسير:

وفي بعض الأحيان يُردُّ في القرآن على شبهة ظاهرة الورد، أو يجاب عن سؤال مطوّي مفهوم بسهولة لقصد إيضاح الكلام السابق، لا لأجل أن أحداً وجّه هذا السؤال بعينه، أو أورد هذه الشبهة بعينها، وكثيراً ما يفترض الصحابة رضي الله عنهم في تقرير ذلك المقام سؤالاً ويشرحون الكلام في صورة السؤال والجواب، ولكن لو نظرنا بإمعان النظر فالكل كلام واحد منسّق، لا يحتمل نزول بعض عقيب بعض، وجملّة واحدة منتظمة لا تُفكّ قيودها على أصل من الأصول.

لم يلتزم اترم الشيء: أوجه على نفسه، ولم الشيء: ثبت ودام. بفرض افترض الباحث: اتحد فرصاً ليصل إلى حلّ مسألة. منتظمة: انتظم الشيء: تألف وأتسق.

الأحقاف: ١٥. الحل: ٢٤. الحل: ٣٠. الحل: ١١٢. الأعراف: ١٨٩. المؤمنون: ٢٤١.

(٧) القلم: ١٠. (٨) البقرة: ٢٦١.

قد يريدون التقدم والتأخر الرتبي لا الزماني:

وقد يذكر الصحابة رضي الله عنهم التقدم والتأخر، ويريدون بذلك التقدم والتأخر الرتبي لا الزماني، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَكْنُوزٌ أَلْهَبٌ وَلَقِصَّةٌ﴾: "إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جَعَلَهَا اللَّهُ طَهْرًا لِلْأَمْوَالِ"، * ومن المعلوم أن سورة البراءة آخر سورة نزلت، وهذه الآية في تضعيف الْقِصَصِ المتأخرة، وقد كانت فرضية الزكاة متقدمة عليها بأعوام، ولكن مراد ابن عمر رضي الله عنهما تقدم الإجمال على التفصيل بالرتبة.

شرط المفسر أمران:

وبالجملة فالذي يشترط على المفسر في هذا الباب لا يزيد على أمرين:
الأول: معرفة قصص الغزوات وغيرها مما وقع في الآيات الإيماء إلى خصوصياتها، فما لم تُعلم تلك القصص لا يتأتى فهم حقيقتها.
والثاني: الاطلاع على فوائد بعض القيود، وكذا أسباب التشديد في بعض المواضع، تتوقف معرفتها على أسباب النزول.

فن التوجيه:

وهذا المبحث الأخير في الحقيقة فن من فنون التوجيه، ومعنى التوجيه: بيان وجه الكلام، وحاصل هذه الكلمة: أنه قد تقع في الآية شبهة ظاهرة، لاستبعاد الصورة التي هي مدلول الآية، أو للتناقض بين الآيتين.

أو يصعب فهم مدلول الآية على ذهن المبتدئ.

أو لا تستقر في ذهنه فائدة قيد من القيود.

المبحث الأخير: يعني مبحث ما يحتاج إليه المفسر.

التوبة: ٣٤.

* رواه البخاري في كتاب الزكاة، وفي كتاب التفسير رقم الحديث: ٤٦٦١، ١٤٠٤.

فإذا قام المفسر بحل هذه الإشكالات سمي ذلك توجيهًا.

أمثلة التوجيه:

- ١ - كما في آية: ﴿يَأْخُذْ هُرُونَ﴾ فقد سألوا: أن المدة بين موسى وعيسى عليهما السلام؛ طويلة، فكيف يكون هارون أخًا لمريم؟ كأن السائل أضمر في خاطره: أن هارون هذا هو هارون أخو موسى عليهما السلام، فأجاب عليه السلام بأن بني إسرائيل كانوا يسمون بأسماء الصالحين قبلهم.
 - ٢ - وكما سألوا: كيف يمشي الإنسان يوم الحشر على وجهه؟ فقال: "إن الذي أمشاه في الدنيا على رجله لقادر على أن يمشيه على وجهه".
 - ٣ - وكما سألوا ابن عباس رضي الله عنهما عن وجه التطبيق بين قوله تعالى: ﴿وَيَدَا فُجَّحٍ فِي أَنْصُورٍ فَلَا نَسَبَ مِنْهُمْ بِمُؤْمِدٍ وَلَا نِسَاءً لُؤْلُؤٍ﴾ وبين آية أخرى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سِيًّا لُؤْلُؤٍ﴾ فقال عليه السلام: عدم التساؤل يوم الحشر، والتساؤل بعد دخول الجنة*.
 - ٤ - وكما سألوا عائشة رضي الله عنها، فقالوا: "إن كان السعي بين الصفا والمروة واجبًا، فلما ذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا خُجَّاجَ عَلَيْهِ أَنْ يَصُوفَ هُمَا﴾؟ فأجابت رضي الله عنها بأن قومًا كانوا يتجيبونه ويتخرجون منه، فلذلك قال الله تعالى: ﴿لَا جُنَّاحَ﴾**.
 - ٥ - وكما سأل عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معنى قيدٍ؟ عليه السلام قال: صدقة صدق الله بها عبداً، فاقبوا صدقه***. أي إن الكرماء لا يضايقون في الصدقة، فكذلك لم يذكر الله سبحانه وتعالى هذا القيد للتضييق، بل القيد اتفاقي.
- وأمثلة التوجيه كثيرة، والغرض هنا التنبيه على معناه.

بأسماء الصالحين قبلهم رواه الترمذي (١٤٤:٢) في أبواب التفسير، في تفسير سورة مريم.

على وجهه: رواه الشيخان، مشكاة رقم الحديث: ٥٥٣٧.

(١) مريم: ٢٨. (٢) المؤمنون: ١٠١. (٣) الصافات: ٢٧. (٤) البقرة: ١٥٨. (٥) النساء: ١٠١.

* أخرجه الحاكم وابن جرير كما في الدر المنثور (١٥:٥) ** رواه مسلم (فتح الملهم ٣: ٣٢٤)

*** رواه مسلم (فتح الملهم ٢: ٢٥٠).

بذكر أسباب النزول وتوجيه المشكل في "فتح الخبير" لفائدتين:

وأرى من المناسب أن أذكر في الباب الخامس ما نقل البخاري والترمذي والحاكم في تفاسيرهم من أسباب النزول وتوجيه المشكل بسند جيد إلى الصحابة رضي الله عنهم، أو إلى رسول الله ﷺ مع التقيح والاختصار لفائدتين:

لأنني أن استحضار هذا القدر من الآثار لا بد منه للمفسر كما لا بد له من حفظ القدر الذي ذكرناه في ذلك الباب من شرح غريب القرآن.

لأنني أعلم أنه لا دخل لأكثر ما يُروى من أسباب النزول في فهم معاني الآيات الكريمة، اللهم إلا شيء قليل من القصص التي ذكرت في هذه التفاسير الثلاثة التي هي أصح التفاسير عند المحدثين.

إفراط ابن إسحاق والواقدي والكلبي:

وأما إفراط محمد بن إسحاق والواقدي والكلبي وما ذكروا تحت كل آية من قصة، فأكثره غير صحيح عند المحدثين، وفي إسناده نظر. ومن الخطأ البين أن يُعدَّ ذلك من شروط التفسير، ومن يرى أن تدر كتاب الله يتوقف على الإحاطة بها، فقد فات حظه من كتاب الله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

الفصل الرابع

في بقية مباحث هذا الباب

مما يوجب الخفاء: حذف بعض الأجزاء، أو أدوات الكلام، وإبدال شيء بشيء، وتقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، واستعمال المتشابهات والتعريضات والكنائيات، لا سيما تصوير

محمد بن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن علي المدني من أقدم مؤرخي العرب، وتوفي سنة ١٥١ هـ. **الواقدي** هو محمد بن عمر الواقدي المدني من أقدم مؤرخي الإسلام وأشهرهم، ولد سنة ١٣٠ هـ، وتوفي بعد سنة ٢٠٧ هـ. **الكلبي** هو محمد بن السائب الكلبي: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ. **إسناده نظر** الضمير في قوله: "أكثره" وكذا في: "إسناده يرجع إلى كلمة 'ما' في قوله: 'ما ذكروا'".

المعنى المراد بالصورة المحسوسة التي تكون من لوازم ذلك المعنى عادة، واستعمال الاستعارة المكيّة وانجاز العقلي، فلنذكر شيئاً من الأمثلة لهذه الأشياء باحتصار لتكون على بصيرة.

بيان الحذف

أما الحذف فعلى أقسام: حذف المضاف والموصوف والمتعق وغير ذلك، مثل:

وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ لِّرَّءٍ مِنْ ءَامِنٍ﴾ أي برّ من آمن.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنبِئَا نَعُودَ آلَافٍ مُّتَصِرَةٍ﴾ أي آية مبصرة، لا أنها مصرة غير عمياء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي حب العجل.

وقوله تعالى: ﴿فَقَتَلْنَا نَفْسًا رَّكِيَّةً غَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي غير قتل نفس.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ أي بغير فساد.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي من في السماوات ومن في الأرض، لا أن شيئاً واحداً هو في السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿صَعَفَ الْحَيَوةِ وَصَعَفَ لَمَمَاتٍ﴾ أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات.

وقوله تعالى: ﴿وَسَقَلِ الْقَرْيَةُ﴾ أي أهل القرية.

وقوله تعالى: ﴿يَذَلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ أي فعلوا مكان شكر نعمة الله كفرًا.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي للحصول التي هي أقوم.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالخصلة التي هي أحسن.

البقرة: ١٧٧، وفيه حذف المضاف. ^(١) بني إسرائيل: ٥٩، وفيه حذف الموصوف. ^(٢) البقرة: ٩٣، وفيه

حذف المضاف. سورة الكهف: ٧٤، وفيه حذف المضاف. ^(٣) المائدة: ٣٢، وفيه حذف المضاف، وهو اِجَار

والمحرور. جاء في التبريل في تسعة مواضع كما في سورة الرحمن: ٢٩، وفيه حذف الموصول. بني إسرائيل: ٧٥،

وفيه حذف المضاف. يوسف: ٨٢، وفيه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. إبراهيم: ٢٨، وفيه حذف

المضاف والمضاف إليه معاً. بني إسرائيل: ٩، وفيه حذف الموصوف. فصلت: ٣٤، وفيه حذف الموصوف.

وقوله تعالى: ﴿سَقَطَ مِنْ مَشْيِ خُشْيٍ﴾ أي الكلمة الحسنى والعِدَّة الحسنى.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ شَمْسٍ﴾ أي على عهد ملك سليمان.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ عِلْمٍ أُنِيتَ﴾ أي على السنة رسلك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُرْسِي فِي سِتْرِ تَقْدِيرٍ﴾ أي أنزلنا القرآن، وإن لم يسبق له ذكر.

وقوله تعالى: ﴿حِينَ تَوَارَتْ الشَّمْسُ﴾ أي توارت الشمس.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي حصلة الصبر.

وقوله تعالى: ﴿عِنْدَ الصُّغُوتِ﴾ - فيمن قرأ بالنصب - أي جعل منهم من عند الطاغوت.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي جعل له نسبا وصهرا.

وقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي من قومه.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَدَّ عَدُوَّهُمْ﴾ أي كفروا نعمة رهم، أو كفروا برهم، بنزع الخافض.

وقوله تعالى: ﴿تَفْتَنُوا﴾ أي لا تفتنوا، ومعناه: لا تزال.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَغْنَصْهُمْ لَا تُفْلِحُوا﴾ أي يقولون: ما نعبدهم.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْفَحْشَاءَ﴾ أي الذين اتخذوا العجل إلها.

وقوله تعالى: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي وعن الشمال.

العدة: مصدر وعَدَّ.

الأنبياء: ١٠١، وفيه حذف الموصوف. البقرة: ١٠٢، وفيه حذف المضاف الأول. آل عمران: ١٩٤، وفيه أيضا حذف المضاف الأول. القدر: ١، وفيه حذف مرجع الصمير. ص: ٣٢، وفيه حذف مرجع الصمير. فَصَّلَتْ: ٣٥، وفيه حذف مرجع الصمير. المائدة: ٦٠، وفيه حذف الموصوف. الفرقان: ٥٤، وفيه حذف الحار، ثم إيصال الفعل إلى المجرور. الأعراف: ١٥٥، وفيه أيضا حذف الحار، ثم الإيصال. هود: ٦٠، وفيه إما حذف المضاف الأول، وإما حذف الحار، ثم الإيصال. يوسف: ٨٥، وفيه حذف الحرف. الزمر: ٣، وفيه حذف القول. الأعراف: ١٥٢، وفيه حذف المفعول الثاني. الصافات: ٢٨، وفيه حذف بعض أجزاء الجملة.

وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّمْ تَعَفُّوْا﴾: ^٥ بئ مغرمون ^٦ أي تقولون: إنا لمغرمون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ فِجَاجًا﴾: ^٧ أي بدلا منكم.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: ^٨ أي امض.

حذف خبر إن والجراء والمفعول والمبتدأ وما شابهها مظهر.

وليُعلم أن حذف خبر "إن"، أو حذف جزاء الشرط، أو مفعول الفعل، أو مبتدأ الجملة، وما أشبه

ذلك مظهر في القرآن الكريم إذا كان فيما بعده دلالة على حذفه، نحو:

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: ^٩ أي لو شاء هدايتكم هداكم.

وقوله تعالى: ﴿لِحَقٍّ مِنْ رَبِّكَ﴾: ^{١٠} أي هذا الحق من ربك.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ قَتَلَ الْفِتْرَ﴾: ^{١١} أوليت أعظم درجه من الذين

أنفقوا من بعد وقتلوا ^{١٢} أي لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعد الفتح. فحذف

الثاني للدلالة قوله: ﴿أُولَئِكَ أَكْثَرُ﴾: ^{١٣} أوليت أعظم درجه من الذين أنفقوا من بعده

وقوله تعالى: ﴿وَدَا فِيلٌ لَهُمْ تَقُوا مَا يَتْلُو آيَاتُكَ﴾: ^{١٤} وما يأتونكم من آيات الله من

استرجه، لا كانوا عنها مغرصبين ^{١٥} أي إذا قيل لهم: اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا.

مظهر: أي عام لا شذوذ فيه.

الواقعة: ٦٦، ٦٥، وفيه حذف القول. ^{١٦} الحرف: ٦٠، وفيه حذف امضاف. ^{١٧} الأنفال: ٥، وفيه حذف

الفعل. ^{١٨} الأنعام: ١٤٩، وفيه حذف المفعول. ^{١٩} البقرة: ١٤٧، وفيه حذف المبتدأ. ^{٢٠} الحديد: ١٠، وفيه

حذف بعض أجراء الجملة، والآية بتمامها: ﴿وَمَنْ كَفَرَ لَا يُصْلِحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ كَفَرَ لَا يَصْلِحُ وَلَا يَتُوبُ﴾: ^{٢١} لا

يستوي منكم من أنفق من قتل الفتن وأوليت أعظم درجه من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا ^{٢٢} وكلا وعد الله

الحسنى وآية لم تعلمون حينئذ ^{٢٣} يس: ٤٥ و ٤٦ وفيه حذف جزاء الشرط.

لا حاجة إلى تفتيش العامل في كلمة "إذ":

وليعلم أيضاً أن الأصل في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رُلُكُ لِلْمَلِكَةِ﴾ ، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ أن تكون كلمة 'إذ' ظرفاً لمفعول من الأفعال، ولكنها نُقلت ههنا إلى التخويف والتهويل، كمثل الذي يذكر المواضع اهائلة أو الوقائع العظيمة على سبيل التعداد من دون تركيب للجُمْل، ومن غير وقوع الكمات في حيز الإعراب، بل المقصود ذكرها بأعينها حتى ترتسم صورتها في ذهن المخاطب، ويستولى الخوف منها على قلبه. فالتحقيق: أنه لا يلزم في أمثال هذه المواضع تفتيش العامل، والله أعلم.

حذف الجار من "أَنْ" مُطَرَّد:

وليعلم أيضاً أن حذف اجار من 'أَنْ' المصدرية مطرد في كلام العرب، ومعنى: لأن، أو: بأد.

حذف جواب "لو" الشرطية:

وليعلم أيضاً أن الأصل في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظُّلُمُوتِ فِي عَمَزِ الْمَوْتِ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ : أن يكون جواب الشرط محذوفاً، إلا أنهم نقلوا هذا التركيب إلى معنى التعجب، فلا حاجة إلى تفتيش المحذوف، والله أعلم.

بيان الإبدال

أما الإبدال فإنه تصرف كثير الفنون.

إبدال فعل بفعل:

قد يذكر سبحانه وتعالى فعلاً مكان فعل لأغراض شتى، وليس استقصاء تلك الأغراض من وظيفة هذا الكتاب، نحو:

قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ، الْهَتِكُمْ﴾ أي يَسُبُّ أهتكم. وكان أصل الكلام: أهذا الذي

يسب، ولكن كره ذكر السب، فأبدل بالذكر.

ومن هذا القليل ما يقال في العرف: "أصيب أعداء فلان بمرض" أو: "شرفنا بالجيء عبيد الحضرة" أو: "عبيد الجناح العالي مطلعون على هذه المقدمة"، والمراد: قد مرض فلان، وقدم سعادة فلان واطلع سمو فلان.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ مَنَاصِحُونَ﴾ أي منا لا ينصرون لما كانت النصرة لا تتصور بدون الاجتماع والصحة أبدل ينصرون بـ "يصحبون".

وقوله تعالى: ﴿تَفَتَّىٰ تَسْمَوَاتٍ وَأَرْضِ﴾ أي خفيت؛ لأن الشيء إذا خفي علمه ثقل على أهل السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ صَنِيعُكَ مِنْ شَيْءٍ مِّنْهُ يَفْسُدُ﴾ أي عفون لكم عن شيء من طيبة أنفسهن.

إبدال اسم باسم:

وقد يذكر سبحانه وتعالى اسماً مكان اسم، نحو:

قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ سَخْفُهُمْ فِي حَصَصِ﴾ أي خاضعة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَاثٌ مِنَ الْفَتَنِ﴾ أي من القاتات.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُهُمُ مِنْ نَّصْرِهِ﴾ أي من ناصر.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزٌ﴾ أي حاجزاً.

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ حَنِيرٌ﴾ أي أفراد بني آدم، أفرد اللفظ؛ لأنه اسم جنس.

وقوله تعالى: ﴿سَتُهَا الْإِنْسَانُ نَكَاحًا﴾ أي نكاحاً، المعنى: "يا بني آدم إنكم"، أفرد اللفظ؛

في العرف عند مخاطبتهم سادتهم أو مكرهم أي يسبون الأمر إلى ما يلاصهم أو إلى متعفيهم. هذه المقدمة هذه كلها تعبيرات فارسية، كانوا يتكلمون بها أو يمثلها عند سادتهم وكبرائهم.

(١) الأنبياء: ٤٣. (٢) الأعراف: ١٨٧. (٣) النساء: ٤. (٤) الشعراء: ٤. (٥) التحريم: ١٢. (٦) آل عمران: ٢٢.

(٧) الحاقة: ٤٧. (٨) العصر: ٢١. (٩) الانشقاق: ٦.

لأنه اسم جنس.

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾^(١) يعني أفراد الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسِلِينَ﴾^(٢) أي نوحاً وحده.

وقوله تعالى: ﴿لَا فَسَادَ يَكُونُ﴾^(٣) أي إني فتحت لك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾^(٤) أي إني لقادر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمُسْلِمٌ رُسُلَهُ﴾^(٥) أي يسقط محمداً.

وقوله تعالى: ﴿أَلَدِينُ قُلُوبُهُ لِنَاسٍ﴾^(٦) أي عروة الثقفي وحده.

وقوله تعالى: ﴿فَذَقْنَاهُ نَارَ الْجَهَنَّمَ﴾^(٧) أي طعم الجوع، أبدل الطعم باللباس إيداناً بأن الجوع

له أثر من التحول والذبول ما يعم البدن كله ويشمله كاللباس.

وقوله تعالى: ﴿صَنَعَهُ اللَّهُ﴾^(٨) أي دين الله، أبدل بالصبغة إيداناً بأنه كالصبغ تتلون به النفس، أو

مشاكلة بقول النصارى في المعمودية.

وقوله تعالى: ﴿وَوُطِّئَ سِجِّينَ﴾^(٩) أي طور سيناء.

وقوله تعالى: ﴿سَمِعَ عَلَى الْبَيْتِ﴾^(١٠) أي على إلياس، قلب الاسمان للازدواج.

إبدال حرف بحرف:

وقد يذكر سبحانه وتعالى حرفاً مكان حرف، نحو:

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَبَىٰ رُتُهُ لِنَحْلٍ﴾^(١١) أي على الجبل كما تخلى في المرة الأولى على الشجرة.

المعمودية كان النصارى يصبغون أولادهم ماءً أصفر، يسمونه المعمودية، يزعمون أنه الماء الذي وُلد فيه عيسى

عليه السلام، ويعتقدون أنه تصهير للمولود، واللفظ سرياني الأصل، أو مؤنّد مأخوذ من العمد بمعنى السبل.

(١) الأحزاب: ٧٢. (٢) الشعراء: ١٠٥. (٣) الفتح: ١. (٤) المعارج: ٤٠. (٥) الحشر: ٦. (٦) آل عمران: ١٧٣.

(٧) النحل: ١١٢. (٨) البقرة: ١٣٨. (٩) التين: ٢. (١٠) الصافات: ١٣٠، والازدواج من ازدواج الكلام: أشبه

بعضه بعضاً في السجع أو الوزن. (١١) الأعراف: ١٤٣.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهَا سَنَقُونَ﴾^(١) أي إليها سابقون.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَخَافُ لَدَىَّ الْآَمْرَ سَنُورُ﴾^(٢) إلا من ظلم^(٣) أي لكن من ظلم، فهو استيفاف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَّ سَبِيلَكُمْ فِي خُذُوعِ النَّحْلِ﴾^(٤) أي على جدوع النحل.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَسْمَعْ سَمْعُكُمْ يَسْمَعُونَ فِيهِ﴾^(٥) أي يستمعون عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَسْمَاءُ مُفَطَّرٌ بِهِ﴾^(٦) أي منفطر فيه.

وقوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾^(٧) أي عنه.

وقوله تعالى: ﴿أُحَدِّثُ الْعَرَّةَ بِالْإِثْمِ﴾^(٨) أي حملته العزة على الإثم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَنَنْبَهُ حَبِيرًا﴾^(٩) أي فاسأل عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾^(١٠) أي مع أموالكم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(١١) أي مع المرافق.

وقوله تعالى: ﴿يَنْتَرِثُهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(١٢) أي يشرب منها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدْزُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(١٣) إذ قالوا ما أرسل الله عبيد من شيء^(١٤) أي أن قالوا.

إبدال جملة بجملة:

وقد يورد جملة مكان جملة، مثلاً: إذا دلت جملة على حاصل مضمون جملة أخرى وسبب وجودها، فتبدل بتلك الجملة نحو:

قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ تَحَالُطُهُمْ فِإِخْوَانِكُمْ﴾^(١٥) أي إن تحالطوهم فلا بأس بذلك؛ لأنهم إخوانكم، وشأن الأخ أن يخالط أخاه.

وقوله تعالى: ﴿لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عَبْدٍ لِلَّهِ حَبِيرٌ﴾^(١٦) أي لو جدوا ثواباً، ومثوبة من عند الله خير.

(١) المؤمنون: ٦١. (٢) النمل: ١١، ١٠. (٣) طه: ٧١. (٤) الطور: ٣٨. (٥) المزمل: ١٨. (٦) المؤمنون: ٦٧.

(٧) البقرة: ٢٠٦. (٨) الفرقان: ٥٩. (٩) النساء: ٢. (١٠) المائدة: ٦. (١١) الدهر: ٦. (١٢) الأنعام: ٩١.

(١٣) البقرة: ٢٢٠. (١٤) البقرة: ١٠٣، وتعامها: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَتَّقَوْا مَثُوبَةٌ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي إن سرق فلا عجب، لأنه قد سرق أخ له من قبل.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ لَهُ حُرْمَةٌ فِيهِ رَأْيُهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي من كان عدواً للجزيريل فإن الله عدو له، فإنه رأى على قلبك بإذنه، فعدوه يستحق أن يعاديه الله تعالى، فحذف: "فإن الله عدو له" بدليل الآية التالية، وأندس منه: ﴿فَإِنَّ رَأْيَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

إبدال التنكير بالتعريف:

وقد يقتضي أصل الكلام التنكير، فيتصرف فيه بإدخال اللام والإضافة، ويبقى المعنى على التنكير الأول، نحو:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَرِّهِ﴾ أي قيل له: يا رب، فأبدل بـ "قيله"؛ لأنه أحصر في اللفظ.

وقوله تعالى: ﴿حَقُّ لَيْسَ﴾ أي حقٌّ يقينٌ، أضيف ليكون أيسر في اللفظ.

إبدال التذكير والتأنيث والإفراد بأضدادها:

وقد يقتضي سنُّ الكلام الطبيعي تذكير الصمير، أو تأنيثه، أو إفراده، فيحرحه سبحانه وتعالى عن ذلك استنن طبيعي، ويذكر المؤنث مقام المدكر، وبالعكس. ويأتي بالجمع مكان المفرد رعاية للمعنى، نحو:

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَأَا السَّمْسَ بَعْدَ قُلْ هِدَارِيْ هَذَا أَكْبَرُ﴾

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

يوسف: ٧٧. النقرة: ٩٧. (١) الحرف: ٨٨. الآخر معطوف على "الساعة"، أي عده تعالى عم الساعة،
وعسم قول الرسول ﷺ: "لا يؤمن بالقول والقال والمقاة كلها مصادر بمعنى
واحد (جمل) (١) الواقعة: ٩٥، وفيه إضافة الموصوف إلى صفته أي حق الخبر ايقين. الأبعاد: ٧٨، وهذا مثال
لذكر المذكر مقام المؤنث. (٢) المؤمنون: ٢٨، وهذا مثال لذكر الجمع مكان المفرد.

وقوله تعالى: ﴿مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اللَّهُ سُورَهُمْ﴾^١.

إبدال التثنية بالمفرد:

وقد يورد المفرد مكان التثنية، نحو:

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْسَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^٢.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَى رَحْمَةً مِنْ عِندِهِ فَعُمِيتَ عَلَيْكُمْ﴾^٣.

والأصل: "فعميتا" فأفرد؛ لأفهما كشيء واحد، ومثله: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

إبدال الشرط والجزاء وجواب القسم بحملة مستقلة:

وقد تقتضي طبيعة الكلام أن يذكر الجزاء في صورة الجزاء، والشرط في صورة الشرط، وجواب القسم في صورة جواب القسم، فيتصرف سبحانه وتعالى في الكلام، ويجعل ذلك الجزء من الكلام حملة مستقلة مستأنفة، لتنظيم المعنى، ويقيم شيئاً يدل عليه بوجه من الوجوه، نحو: قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ عَرِيسًا ، وَالشُّطُطُ نَشْطًا ، وَالسَّحَابُ سَحَابًا ، فَالْمَدَبَرَاتُ أَمْزًا ، يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ﴾^(١) المعنى: البعث والحشر حق يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَالنِّسَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمُ الْمَوْعُودِ ، وَشَهِيدٌ مَشْهُودٌ ، قَتْلُ أَصْحَابِ الْأَحْذُودِ﴾^(٣) المعنى: المجزأة على الأعمال حق.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَسَبَاءٌ انْتَفَقَتْ ، وَأُذُنٌ لَهَا وَحُقَّتْ ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ، وَأُذُنٌ لَهَا وَحُقَّتْ ، يَأْتِيهَا الْإِنْسُ بِكَ كَادِحٌ﴾^(٤) المعنى: الحساب والجزاء كائن.

أَعْلَمُ: والأصل: أعلمان، وأفرد؛ لأن علم الرسول هو ما علمه الله تعالى إياه، فهما كشيء واحد. لتنظيم الشيء: تألف وأنسق.

القرة: ١٧ أفرد الضمير في "استوقد" مراعاة للفظ الموصول، وجمّع في قوله: "سُورِهِمْ" مراعاة معنى "الذي".

١ التوبة: ٧٤، أفرد الضمير؛ لأن الفصل هنا معنى سرق، وهو لا يكون إلا من الله تعالى. ٣ اهود: ٢٨.

(١) النازعات: ٦-١، البروج: ٤-١. (٢) الانشقاق: ٦-١.

إبدال الخطاب بالغيبة:

وقد يقبّل الله تعالى أسلوب الكلام بأن يقتضي الأسلوب الخطاب فيأتي بالغائب، نحو قوله تعالى:

﴿إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرْنَا يَمَّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(١).

إبدال الإخبار بالإنشاء وبالعكس:

وقد يذكر سبحانه وتعالى الإنشاء مكان الإخبار، والإخبار مكان الإنشاء، نحو:

قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾^(٢) أي لتمشوا.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) أي إيمانكم يقتضي هذا.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَحْلَ دَلِكْ كَتَبْ عَلَى سِي سِرِّهِ﴾^(٤) المعنى: على قياس حال ابن آدم كتبنا،

أو على مثال حال ابن آدم، فأبدل منه: ﴿مَنْ أَحْلَ دَلِكْ﴾؛ لأن القياس لا يكون إلا بملاحظة

العلة، فكان القياس نوع من التعليل.

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ هو في الأصل بمعنى الاستفهام من الرؤية، ولكن نقل هنا، ليكون تنبيهاً

على استماع الكلام الآتي بعده كما يقال في العرف: ترى شيئاً؟ تسمع شيئاً؟

التقديم والتأخير والنعلق بالبعيد وما شابههما:

وقد يوجب التقديم والتأخير أيضاً صعوبة في فهم المراد، كما في الشعر المشهور:

بُثْنَةُ شَأْنُهَا سَلَبَتْ فَوَادِي بَلَا جَرَمِ أَتَيْتُ بِهِ سَلَامًا

والتعليق بالبعيد أيضاً مما يوجب الصعوبة في الكلام، وكذلك ما يكون من هذا القبيل نحو:

قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا لَوْطُ إِنَّا لَمُحَوِّهُ خَمْعِينَ﴾^(٥) لا امرأة. أدخل الاستثناء على الاستثناء فصعب.

سلاماً: أي سلبت بُثْنَةُ فَوَادِي بَلَا جَرَمِ أَتَيْتُ بِهِ شَأْنًا سَلَامًا.

يونس ٢٢، والأصل: "بكم". الملوك: ١٥، وامشوا صيغة أمر، وتمشوا فعل مضارع، فأبدل الإخبار بالإنشاء.

(١) البقرة: ٩٣. (٢) المائدة: ٣٢. (٣) في غير موضع كما في أول سورة الماعون. (٤) الحجر: ٥٩، ٦٠.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بَلَدَيْنِ﴾ متصل بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي يدعو من ضره.

وقوله تعالى: ﴿لَتَنُوءَ بِالْعُصَّةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ أي لتنوء العصبة بها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ﴾ أي اغسبوا أرجلكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي ولولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان لازماً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ نَكْرٌ فَنِتَّةٌ﴾ متصل بقوله: ﴿فَعَلَيْكُمْ اللَّتَارُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ متصل بقوله: ﴿فَدَكَائِمْ لَكُمْ أَشْوَءَ حَسَةً فِي إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهُمْ﴾ أي يسألونك عنها كأنك حفي.

الزيادة في الكلام:

والزيادة على السنن الطبيعي أيضاً على أقسام:

الزيادة بالصفة:

قد تكون الزيادة في الكلام بالصفة، نحو:

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ هَلُوعٌ إِذَا مَسَّهُ الْبُخْرُ حَزُوْعٌ وَدَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعٌ﴾.

الزيادة بالإبدال:

وقد تكون بالإبدال، نحو قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ أَمْسَ مِنْهُمْ﴾.

التين: ٧. ٢ الحج: ١٣، واللام فيه رائدة. ٢ القصص: ٧٧. ٣ المائة: ٦. ٤ طه: ١٢٩، وهذا مثال التقديم والتأخير. الأنفال: ٧٣. الممتحنة: ٤. الأعراف: ١٨٧، وفيه أيضاً تقديم وتأخير. ٥ الأنعام: ٣٨. ٦ المعارف: ١٩-٢١. ٧ الأعراف: ٧٥.

الزيادة بالعطف التفسيري:

وقد تكون بالعطف التفسيري، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَمِعَ أُشْدَّهُ وَلِمَعَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(١).

الزيادة بالتكرار:

وقد تكون بالتكرار، نحو:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّ هَوًىٰ لَهُمْ إِذْ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) أصل الكلام: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا حَاءَ هَٰذَا كَتَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَحْنُ اللَّدِينُ لَوْ رَكِبُوا مِنْ حَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا حَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعِينُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلدِّينِ وَلِلْحَجِّ﴾^(٥) أي هي مواقيت للناس باعتبار أن الله تعالى شرع لهم التوقيت بها، وللحج باعتبار أن التوقيت بها حاصل للحج، ولو قيل: "هي مواقيت للناس في حجهم" لكان أخصر، ولكن أطنب.

وقوله تعالى: ﴿سُدِّرَ أَمْرُ نَقَرٍ وَمِنْ حَوْلِهَا وَسُدِّرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ﴾^(٦) أي تنذر أم القرى يوم الجمعة.

وقوله تعالى: ﴿وَبَرَىٰ لِحَالِ تَحْسِبُهَا حَمْدَةً﴾^(٧) أي ترى الجبال جامدة، أدخل "الحسبان" لأن "الرؤية" تجيء لمعان، والمراد بها ههنا معنى "الحسبان".

وقوله تعالى: ﴿كَانَ لِبَاسٌ مِّمَّ وَحْدَةً فَعَتَّ اللَّهُ لَبِيسَ مُشْرِكِينَ وَمُنَادِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ لَكِتَابَ الْحَقِّ لِيُخَيِّمَ بَيْنَ الْبَاسِ فَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ قَدْ مَا هَٰؤُلَاءِ الْبَاسُ عَنِ بَيْنِهِمْ فَهَدَىٰ اللَّهُ لِلدِّينِ مَنُومًا لَمْ يَخْتَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَنَهَىٰ يَهْدَىٰ مِنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨) أدخل: ﴿وَمَا اخْتَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾^(٩) في تضاعيف الكلام المنتظم بعضه ببعض بياناً لصمير:

(١) الأحقاف: ١٥. (٢) يونس: ٦٦. (٣) البقرة: ٨٩. (٤) النساء: ٩. (٥) البقرة: ١٨٩. (٦) الشورى: ٧. (٧) النمل:

٨٨. (٨) البقرة: ٢١٣.

"اختلفوا" ويداننا بأن المراد من "الاختلاف" ههنا: هو الاختلاف الواقع في أمة الدعوة بعد نزول الكتاب بأن آمن بعض وكفر بعض.

زيادة حرف الجر:

وقد يزيد سبحانه وتعالى حرف الجر على الفاعل، أو المفعول به، ويجعله معمولاً للفعل بواسطة حرف الجر لتأكيد الاتصال، نحو:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا^(١)﴾ أي نحمي هي.

وقوله تعالى: ﴿وَفَقَّيْنَا عَلَىٰ آلِهِم مَّعِيشَىٰ آلَ مَرْيَمَ^(٢)﴾ أي قفيناهاهم بعيسى ابن مريم.

واو الاتصال:

وينبغي أن يُعلم هنا نكتة، وهي أن الواو تستعمل في مواضع كثيرة لتوكيد الاتصال لا للعطف، نحو:

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ^(٣)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً^(٤)﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا^(٥)﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَمَّخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا^(٦)﴾.

فاء الاتصال:

وكذلك تزداد الفاء أيضاً، قال القسطلاني في شرح كتاب الحج في باب المعتمر إذا طاف طواف العمرة ثم حرج، هل يجزئ من طواف الوداع؟: "ويجوز توسط العاطف بين الصفة والموصوف لتأكيد لصوقها بالموصوف، نحو: ﴿إِن يَقُولُ لَمُصَفَّقُونَ وَلَدَيْكَ^(٧)﴾ في قلوبهم مرض^(٨) قال سيبويه: هو مثل: "مررت بزيد وصاحبك" إذا أردت بصاحبك زيدا.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكَ مِنْ قَرْيَةٍ^(٩)﴾ لَأَوْهَا كُنْتَ مَعْتُومٌ^(١٠) جملة واقعة صفة لقريّة.

(١) التوبة: ٣٥. (٢) المائدة: ٤٦. (٣) الواقعة: ١-٧. (٤) الرمر: ٧٣. (٥) آل عمران: ١٤١. (٦) الأنفال: ٤٩.

(٧) الحجر: ٤.

والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا هُمْ يُسْأَرُونَ﴾ . وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب (انتهى).

انتشار الضمائر، وإرادة المعنيين من كلمة واحدة:

وربما تكون الصعوبة في فهم المراد لانتشار الضمائر، وإرادة المعنيين من كلمة واحدة، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنْ لَسِيلٍ وَنَحْسُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^١ يعني أن الشياطين ليصدون الناس عن السبيل، ويحسب الناس أنهم مهتدون.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾^٢ المراد به الشيطان في موضع واحد، وفي الموضع الآخر الملك. وقوله تعالى: ﴿يَسْتَوِيكَ مَا يَنْفَقُونَ قُلْ مَا أَفْقَرُ مِنْ حَيرٍ﴾^٣ وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَوِيكَ مَا يَنْفَقُونَ قُلْ أَلْعَفْوُ﴾^٤ فالأول معناه: أي مال ينفقون؟ وأي نوع من الإنفاق ينفقون؟ وهو صادق بالسؤال عن المصرف؛ لأن الإنفاق يصير باعتبار المصارف أنواعاً، والثاني معناه: أي مال ينفقون؟

ومن هذا القبيل: يجيء لفظ "جعل" و "شيء" ونحوهما لمعان شتى:

قد يجيء "جعل" بمعنى خلق كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّمْتُ وَالنُّورَ﴾^٥.

وقد يكون بمعنى اعتقد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا دَرَأَ﴾^٦.

ويجيء "شيء" مكان الفاعل والمفعول به والمفعول المطلق وغيرها، نحو: قوله تعالى: ﴿أَمْ حُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^٧ أي من غير خالق.

انتهى أي انتهى كلام الزمخشري، وبه انتهى النقل من القسطلاني (٣: ٣٢٩). **هذا القبيل** أي من قبيل إرادة المعنيين من كلمة واحدة.

الشعراء: ٢٠٨. ١. الرحرف: ٣٧. ٢. سورة ق في موضعين في آية ٢٣ و ٢٧. ٣. البقرة: ٢١٥. ٤. البقرة:

٢١٩. ٥. الأنعام: ١. ٦. الأنعام: ١٣٦. ٧. الطور: ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَلِي عَنْ شَيْءٍ﴾ أي عن شيء مما تتوقف فيه من أمري.

وقد يريد بالأمر والنبأ والخطب المخبر عنه، نحو:

قوله تعالى: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^(١) أي قصة عجيبة.

وكذلك: كلمتا الخير والشر وما في معنهما يختلف المراد منهما حسب اختلاف المواضع.

ومن هذا القبيل انتشار الآيات: قد يُبادر إلى آية مقامها الأصلي بعد إيراد القصة، فيذكرها قبل تمام القصة، ثم يعود إلى القصة فيتمها.

وقد تكون الآية متقدمة في النزول، متأخرة في التلاوة، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ رَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾

مقدمة في النزول، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ متأخرة، وفي التلاوة بالعكس.

وقد يُدرج الجواب في تضاعيف أقوال الكفار، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَنعَيْتُمْ﴾^(٢) فلإنَّ الهدى هدى الله أن يؤمن أحدكم مثلاً ما أوتيتكم^(٣).

وبالجملة فهذه المباحث تحتاج إلى تفصيل كثير، وفيما ذكرناه كفاية، ومن قرأ القرآن الكريم من أهل السعادة، واستحضر هذه الأمور عند تلاوته، أدرك بأدنى تأمل غرض الكلام ومعناه، وقيس غير المذكور على المذكور، وينتقل من مثال إلى أمثلة أخرى.

الفصل الخامس

في بيان المحكم والمتشابه والكناية والتعريض والمجاز العقلي

المحكم:

ليعلم أن المحكم هو ما لا يُدرك العارف باللبغة من ذلك الكلام إلا معنى واحداً، والمعتبر فهم العرب الأولين، لا فهم مدققي زماننا الذين يشقون الشَّعْرَةَ، فإن التدقيق الفارع داء عُضال

هذا القبيل أي من قبيل انتشار الضمائر. فيتمها كما في سورة الحجر ٦٠.

(١) الكهف: ٧٠. (٢) ص: ٦٧. (٣) البقرة: ١٤٤. (٤) البقرة: ١٤٢. (٥) آل عمران: ٧٣.

يُجعل المحكم متشابهاً، والمعوم مجهولاً.

المشابه:

والمتشابه هو ما يحتمل معنيين:

لاحتمال رجوع الصمير إلى المرجعين، كما قال رجل: "أَمَا إِنَّ الْأَمِيرَ أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ فُلَانًا، لَعَنَهُ اللَّهُ".

أو لاشتراك الكلمة في معيين، نحو قوله تعالى: ﴿لَمَسْتُمُوهُ﴾ في الجماع واللمس باليد.

أو لاحتتمال العطف على القريب والبعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَسَّحُوا بُرُوءَهُمْ كَتْمًا وَارْتِخَامًا﴾ في قراءة الكسر.

أو لاحتتمال العطف والاستيناف، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾

الكناية:

والكناية هي أن يُثَبِّتَ حكماً من الأحكام، ولا يقصد به ثبوت ذلك الأمر بعينه، بل يقصد أن ينتقل ذهن المخاطب إلى لازمه بلزوم عادي أو عقلي. كما يفهم معنى كثرة الضيافة من قوهم: ويفهم معنى السخاوة من قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة:

وتصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة من هذا القبيل، وذلك باب واسع في أشعار العرب وحُطْبِهِمْ؛ والقرآن العظيم وسنة نبيها ﷺ مشحون به، نحو قوله تعالى: ﴿وَأُخْتُ عِيسَى خَيْدَكْ وَرَحِمَكْ﴾ شبه الشيطان برئيس قُطَاع الطريق حيث ينادي أصحابه، فيقول: "تعال من هذه الجهة" و "ادخل من تلك الجهة".

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي

هذا القبيل: أي من قبيل الكناية.

النساء: ٤٣، والمائدة: ٦. والمائدة: ٦، وأما في قراءة اصصب فيتعين العصف على السعيد. - آل عمران: ٧.

(١) المائدة: ٦٤. (٢) بني إسرائيل: ٦٤. (٣) يس: ٩.

أَعْنَقَهُمْ أَغْلًا ﴿١﴾ شَهْ إِعْرَاصَهُمْ عَنْ تَدْبِيرِ الْآيَاتِ. عَنْ غُلَّتْ يَدَاهُ أَوْ بُنِيَ حَوَالِيهِ سَدٌّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ النَّظَرَ أَصْلًا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ حَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ ﴿٢﴾ يعني اجمع خاطرك، ودع الاضطراب وقلق البال.

ونظير ذلك في العرف:

أنه إذا أراد أن يبين شجاعة رجل يشير بالسيف أنه يضرب إلى هذه الجهة، ويضرب إلى تلك الجهة، وليس مقصوده إلا بيان غلبته أهل الآفاق بصفة الشجاعة، ولو لم يأخذ السيف بيده مرة من الدهر. أو يقولون: فلان يقول: "لا أرى أحدا على وجه الأرض يبارزي، أو يقولون: "فلان يفعل كذا وكذا"، ويشيرون بهيئة أهل اسارزة وقت معالبة الخصم، ولو لم يصدر عنه هذا القول قط، ولم يفعل هذا الفعل أصلاً.

أو يقولون: "فلان خنقني ونزع اللقمة من فمي".

التعريض:

والتعريض أن يذكر الله تعالى حكماً عاماً أو منكرًا، ويكون الغرض منه الإيماء إلى حال رجل خاص، أو التنبية على حال رجل معين، ويأتي في غُضُونِ الكلام بعض خصوصيات ذلك الرجل التي عرّف المخاطب عليه، فيعرِّق القارئ في الفكر في مثل هذا الموضع، ويحتاج إلى تلك القصة، وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينكر على شخص يقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا"، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِسَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ الآية تعريض لقصة ريب وأخيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَصْلِ مَكْنَةً وَالسَّعَةَ﴾ تعريض بأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

نظير ذلك. أي يصير تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة. **فلان إلخ:** هذه التعبيرات كلها من قبيل تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة. **غُضُونِ الكلام:** يقال: جاء في غُضُونِ كلامك كذا: في أثناءه وطياته.

ففي هذه الصُّور ما لم يطلعوا على تلك القصة لا يدركون **فحوى الكلام**.

المجاز العقلي:

والمجاز العقلي: هو أن يُسندَ الفعلُ إلى غير فاعله، أو يُجعل المفعول به ما ليس بمفعول به في الحقيقة لعلاقة المشابهة بينهما، ويدعى المتكلم أنه داخل في عداده وفرد من أفرادهِ.

كما يقولون: "بنى الأمير القصر" مع أن الباقي بعض البنّائين.

وكما يقولون: "أنبت الربيع النخل" مع أن المنبت هو الله سبحانه وتعالى في فصل الربيع، والله أعلم بالصواب.

الباب الثالث

في بيان لطائف نظم القرآن، وشرح أسنونه البديع

الفصل الأول

في ترتيب القرآن الكريم وأسلوب السُّور فيه

لم يُجعل القرآن مَبُونًا مفصلاً على منهج المتون لِيُذكر كل مطلب منه في باب أو فصل، بل افترض القرآن الكريم كمجموعة المكتوبات، فكما يوجّه الملوك إلى رعاياهم حسب مقتضيات الأحوال فرماناً، وبعد زمان يكتبون فرماناً آخر، وهلم جرّاً حتى تجتمع فرامين كثيرة، فيدوّنّها شخص ويجعلها مجموعاً مرتباً، كذلك أنزل الملك على الإطلاق جلّ شأنه على نبيه ﷺ هداية عباده سورة بعد سورة حسب مُتطلبات الظروف.

وقد كانت كل سورة في عهد النبي ﷺ محفوظة مضبوطة على حدة، ثم دوّنت السور كلها في مجلد واحد بترتيب خاص في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وسمي هذا المجموع بالمُصحف.

تقسيم السُّور:

وقد كانت السور مقسومة عند الصحابة رضي الله عنهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: السبع الطُول التي هي أطول السور.

والقسم الثاني: المِوَوَّن، وهي التي تشتمل كل واحدة منها على مائة آية، أو تزيد قليلاً.

والقسم الثالث: المثاني: وهي ما تَقِلُّ آياتها عن المائة.

والقسم الرابع: المفصل.

وقد أدخلت سورتان أو ثلاث هي من عداد المثاني في المثين، لمناسبة سياقها بسياق المثين، وهكذا جرى التصرف في بعض الأقسام الأخرى أيضاً.

القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

وقد استنسخ عثمان رضي الله عنه عدة نسخ من ذلك المصحف، وأرسلها إلى الآفاق ليستفيد المسلمون منها ولا يحدون إلى ترتيب آخر.

استهلال السور واختتامها على أسلوب الفرامين:

ولما كانت بين أسلوب السور وأسلوب فرامين الملوك مناسبة تامة، روعي في البداية والنهاية طريق امكاتب، فكما أنهم يبتدئون بعضها بحمد الله تعالى، وبعضها ببيان غرض الإملاء، وبعضها ببيان اسم المرسل والمرسل إليه، وبعضها تكون رُقعة وشقة بعير عنوان، وبعضها تكون صويبة وأخرى مختصرة، كذلك استهل الله تعالى بعض اسور بالحمد والتسبيح، وبعضها ببيان غرض التبرير، كما قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِهِ هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ أُنزِلَتْ وَأُنزِلَتْ فِيهَا آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَخُذْ حُزْنَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَخُذْ حُزْنَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَخُذْ حُزْنَ﴾^(٥).

وهذا القسم من السور يشبه بما يكتبون: هذا ما صالح عليه فلان وفلان" و "هذا ما أوصى به فلان"، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية: "هذا ما قاضى عليه محمد" واستهل بعضها بذكر المرسل والمرسل إليه، كما قال تعالى: ﴿نَزِيلٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَخُذْ حُزْنَ﴾^(٧).

وهذا القسم يشبه بما يكتبون: صدر الحكم من الباب العالي" أو يكتبون: "هذا إعلام من حضرة الخلافة إلى سكان البلد الفلاني بأن إلخ. وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم: "من محمد رسول الله إلى هزقل عظيم الروم"***.

يُشَبَّهُ بِمَا يَكْتُبُونَ: أي في استهلال الوثائق والمعاهدات.

* البخاري ص ٣٧٢. * البخاري (١: ٥).

(١) البقرة: ٢. (٢) النور: ١. (٣) الجاثية: ٢. (٤) هود: ١.

واستهل بعضها على أسلوب الرِّقَاع والشَّقَق بغير عنوان، كما قال تعالى: ﴿إِذَا حُكِمَ عَلَى الْمَظْهُورِ﴾ .
وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَدِّثُ فِي رُوحِهَا﴾ . وقال تعالى: ﴿بِأَنَّ سَيِّئًا لَمْ تَنُوحْ﴾ .

منهج القصائد في مبتدأ بعض السور:

ولما كانت فصاحة العرب تتجلى في القصائد، وكان من عاداتهم القديمة في مبدأ القصائد التشييبُ بذكر المواضع العجيبة والوقائع الهائلة، فاختار سبحانه وتعالى هذا الأسلوب في بعض السور، كما قال تعالى: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا . فَالْزَحْرَتِ زَحْرًا﴾ . وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْبَابِ دُورًا﴾ .
فألحمت وفرا: ﴿وَالْأَرْبَابِ دُورًا﴾ . وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاسُ كُورَتْ . وَإِذَا السُّجُودُ أَسْكَدَتْ﴾ .

خواتم السور على منهج الفرامين:

وكما أن الملوك يحتمون فراميتهم بجوامع الكلم، ونوادر الوصايا، والتأكيد البليغ يتمسك الأوامر المذكورة، والتهديد الشديد لكل من يخالفها، كذلك ختم الله تبارك وتعالى أواخر السور بجوامع الكلم، ومبايع الحكيم، والتأكيد البليغ، والتهديد العظيم.

تخلل الكلام البليغ في أثناء السور:

وقد يؤتى في أثناء السور بالكلام البليغ العظيم الفائدة المديع الأسلوب، الذي يشتمل على نوع من الحمد والتسبيح، أو عني نوع من العزم والامتنان، كما: بدأ بيان التباين بين مرتبة الخالق والمخلوق بقوله: ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ . الله حُرٌّ مَّا يُشْرِكُونَ . ثم بين هذا الموضوع في خمس آيات بأبلغ وجه وأبداع أسلوب.

الرِّقَاع جمع الرقعة: القطعة من الورق التي تكتب فيها (ب) (ج) . **الشَّقَق** جمع الشَّقَّة: ما شقَّ من ثوب أو ورق مستطيلًا (ب) (ج) وغيره (ك) (ل) (م) . **القصائد التشييبُ** شَبَّ قصيدته: حَسَّنَها ورَتَّبَها بذكر النساء، والعادة أن يكون التشييب في مبدأ قصائد المدح، ثم سمي ابتداء كل أمر تشييبًا، وإن لم يكن فيه ذكر الشباب والنساء.

المساقون: ١. ١. المحادلة: ١. ١. التحريم: ١. ١. الصافات: ١. ١. الداريات: ١. ١. التكوين: ١. ١.

وبدأ مخاصمة بني إسرائيل في أثناء سورة البقرة بقوله: ﴿يَسَىٰ إِنَّ رَبَّكَ لَبِىَّ الْأَعْنَاقِ﴾ ثم ختمها بنفس هذا الكلام، فابتداء المحاجة هذه الكلمة وانتهاءها بها يحتل مكاناً عظيماً في البلاغة.

وبدأ المحاصة مع أهل الكتاب في سورة آل عمران بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عَدَّ اللَّهُ إِلَهُهٖم مَّا يَتَّبِعُونَ آلَهُم مِّمَّا خَلَقُوا﴾ ليتضح محل النزاع، ويدور الحوار على ذلك المدعى، والله أعلم بحقيقة الحال.

الفصل الثاني

في تقسيم السور إلى الآيات، وأسلوبها الفريد

لقد جرت سنة الله تعالى في أكثر السور بتقسيمها إلى الآيات، كما كانوا يقسمون القصائد إلى الأبيات.

الفرق بين الآيات والأبيات:

وغاية ما يقال في الفرق بينهما: أن كلاً منهما نشاند، التي تُنشَد لالتذاد نفس المتكلم والسامع، إلا أن الأبيات مقيدة بالعروض والقوافي التي دوّنها الخليل بن أحمد، وتقفاها منه الشعراء، وبناء الآيات على الوزن والقافية الإجماليين، يشبهان أمراً طبيعياً، لا على أفاعيل العروضيين وتفاعيلهم، وقوافيهم

يحتلُّ احتلَّ مكاناً: حلَّه ونزله واحتلَّ مكاناً عظيماً في البلاغة (قصائد من اس كا بهت ايم مقام ہے). **الحوار** (كفكفو، بات چیت). **في أكثر السور** ستقف على فائدة التقييد بالأكثر في آخر الفصل. **نشاند** جمع النشيد، والشيدة: ما يرفع فيه الصوت مع التلحين (گانا، ترانہ، شعر جس کو راگ کے ساتھ ہند آواز سے پڑھیں) وأشد الشعر: قرأه رافعاً به صوته.

بالعروض والقوافي: العروض: ميران الشعر الذي يظهر به المترن من المختل، والقافية: آخر كلمة في البيت، أو هي من آخر ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، فلو قلت مثلاً: 'ما أطول الليل عني من لم يَم' كانت القافية "لم يَم". **الخليل بن أحمد**: هو خليل بن أحمد الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيويه، ولد سنة ١٠٠ هـ، وتوفي سنة ١٧٠ هـ. **تفاعيلهم** الأفاعيل والتفاعيل: أمثلة الأجزاء التي يتألف منها الشعر، وهي أربعة: فُعول، مفاعيلن، مفاعلتن، فاعلاتن، وبقية الأجزاء مأخوذة منها.

المعينة التي هي أمر صناعي واصطلاحي.

الأمر المشترك بين الآيات والآيات:

وأما تنقيح الأمر المشترك بين الآيات والآيات - ونعبر ذلك الأمر العام **بالنشائد** - ثم ضبط تلك الأمور التي أُلزم بها في الآيات - وذلك بمنزلة الفصل - فكل ذلك يحتاج إلى تفصيل، والله ولي التوفيق. وتفصيل هذا الإجمال: أن الفطرة السليمة تدرك بذوقها في القصائد الموزونة المقفاة، والأراجيز الرائقة الجميلة، وأمثالها حلاوةً وعذوبةً، وإذا تأمل أحد في سبب إدراك تلك الحلاوة، وجد أن نفس المخاطب تتذوق لذة خاصة في الكلام الذي يوافق بعضه بعضاً، ويجعلها منتظراً إلى كلام آخر مثله، فإذا سمعت بعد ذلك البيت الآخر مع ذلك التوافق والانسجام بين أجزائه، وتحقق الأمر المنتظر، تضاعفت اللذة عند ذلك، ولما كان اليتان مشتركين في قافية واحدة، اردادت اللذة ثلاثة أضعافها، فالتمتع والالتذاذ بالآيات بهذا السر فطرة قديمة فطر الناس عليها، وأصحاب الأمزجة السليمة من أهل الأقاليم المعتدلة متفقون على ذلك.

ثم حدثت بعد ذلك مذاهبٌ مختلفة ورسومٌ متباينة في توافق الأجزاء في كل بيت من الآيات، وكذا في شروط القوافي المشتركة بين الآيات، فالعرب عندهم ضوابط وأصولٌ بينها الخليل، والهنود يتبعون قانوناً يحكم به سليقتهم اللغوية وقرينتهم الفطرية، وهكذا احتار أهل كل عصر وصعاً من الأوضاع، وسلکوا مسلكاً من المسالك.

التوافق التقريبي هو الأمر المشترك بين مختلف الكلام المنظوم:

وإذا أردنا أن نتزع من بين هذه الرسوم والمذاهب المختلفة أمراً جامعاً مشتركاً، وتأملنا السر المنتشر الشامل فيها، وجدنا أنه هو التوافق التقريبي لا غير؛ لأن العرب يستعملون: **مفاعيل** ومفتعلن مكان

بالنشائد: وهذا بمنزلة الجنس. **الأجزاء**: أركان الوزن. **قرينتهم**. القرينة من الإنسان: طبيعته التي جُل عليها. **الأوضاع**. الوضع: هيئة الشيء التي يكون عليها. **مفاعيل**: الإعراب حكائي.

مستفعلن، ويعتبرون فعلاً تدل فاعلاً وفق القاعدة، ويعنون موافقة ضرب بيت ضرب بيت آخر، وموافقة عروض بيت بعروض بيت آخر أمراً مهماً، ويجزؤون زحافات كثيرة في الحشو بخلاف شعراء الفرس، فإن الزحافات عندهم مستهجنة.

وكذلك تستحسن العرب كون القافية في البيت قوراً، وفي البيت الآخر منيراً خلاف شعراء العجم. وهكذا يرى الشعراء العرب أن 'حاصل' و 'داحل' و 'نار' من قسم واحد، خلاف الشعراء العجم. وكذلك وقوع كلمة واحدة بين شطري البيت حيث يكون نصفها في الصدر، ونصف الآخر في العجز صحيح عند العرب، لا عند العجم.

وفدلكة القول: أن الأمر الخامع المشترك بين الكلام المنظوم العربي والفارسي هو التوافق التقريبي لا التوافق التحقيقي.

وقد وضع اسود أوران شعرهم على عدد الحروف بدون ملاحظة الحركات والنسكات، وهي أيضاً تمنح مدة وحلاوة، وقد سمعنا بعض أهل البداوة يختارون في تعريدهم لي يتلذذوا بها كلاماً موافقاً لتوافق تقريبي أو رديفاً - نادر يكون كلمة واحدة، وأخرى يزيد عليها - ويشدوها مثل القصائد، ويتلذذون بها، ولكل قوم أسلوب خاص في كلامهم المنظوم.

وهكذا وقع اتفاق الأمم على الالتداز بالحجاب وعمات، وتحقق اختلافهم في قوانين تعريدهم وأساليب تلحينهم.

وقد وضع اليونانيون عدداً من الأوران، يسمونها مقامات، واستصوا منها أصواتاً وشعناً، ودونوا لأنفسهم فناً مبسوطاً مفصلاً.

ضرب الضرب: الجزء الأخير من مصراع ثاني من بيت، وعروضها هو الجزء الأخير من مصراع الأول من بيت. **زحافات** الزحاف: تعبير ينحسب في السبب خفيف أو الثقيف. **الحشو** أركان لحد الواقعة من الصدر وعروض، وبين الانتهاء وضرب **مستهجنة** مستهجنة: ستقبحه. **الصدر** الصدر: المصراع الأول من البيت، والعجز: المصراع الثاني منه. **تعريدهم** عرّد طائر والإنسان: رفع صوته ناعماً وطرب به. **رديفاً** ويردیف عند العجم كلمة مستقمة تأتي في آخر البيت بعد القافية. **تلحينهم** حن في فرغته: طرب فيها وعرّد بأحد.

وكذلك وضع اليهود ستة نعمات، وفرغوا منها نعيمات. وقد رأينا أهل البداوة منهم الذين لا يعرفون هذين المصطلحين، تفتنوا بحسب سيقتهن لتأليف الكلام وتلحينه، وتغوا به من دون أن يصبطوا له الكليات ويحصروا له الجزئيات.

وإذا حكمنا الخلدس بعد هذه الملاحظات. لم نجد الأمر المشترك سوى التوافق التقريبي؛ ولا غرض للعقل إلا بذلك المترع الإجمالي. ولا هم له في تفاصيل القوافي المردفة الموصولة، ولا يجب الذوق السليم إلا تلك الخلاوة المحضة والعدوبة الخالصة، ولا علاقة له بصوب البحر ومدیده.

مراعاة القرآن الكريم للحسن الإجمالي المشترك:

وما أراد الخلاق - جئت قدرته - أن يحاطب الإنسان المخلوق من قصة طين، نظر إلى ذلك الحسن الإجمالي والجمال امشترك فحسب، وم ينظر إلى قوال مستحسة عند قوم دون قوم، وحينما شاء مات الملك أن يتكلم على منهج آدميين، لاحظ ذلك الأصل البسيط والسر المشترك، ولم يراع هذه القوانين المتغيرة بتغير الأدوار والأطوار.

ومبنى التمسك بالقوانين الاصطلاحية هو العجز والجهل، وتحصيل تلك الحسن الإجمالي واجمار امهي بدون توسط تلك القواعد - حيث لا يتغير البيان في الوهاد والأنجاد ولا يضيع الكلام في الشهور والجلال - معجز ومفحم، وأنا أنترع من جريان الحق تعالى على ذلك السنن أصلاً، وأضع

نعيمة: نعمة: رأ، نعيمة: رغيث. الخلدس: سرعة الانتقال في المعنى والاستتخ. القوافي المردفة الموصولة: الروي. الحرف الذي تلى عليه القصيدة، وإيه تُنسب، يقال. قصيدة ناثية، إذا كان رويها الماء، ثم الروي إن كان ساكناً فمقيد، وإقافية مقيدة، وإلا فمطلق وإقافية مطلقة، فإن سبقه مدّة أو بين فردف، وإقافية مردفة، وإن لحقه مدّة أو هاء ساكنة فلا فصل فوصل، وإقافية موصولة، فمثال إقافية اردفة الموصولة: ومن أين لوجه امبيح ديوب؟. الردف واو في آخر الماء، والوصل واو قبل الماء، وكذا: 'وقلنا نقوم' إحوال اردف واو، والوصل ألف (محيط الدائرة). الوهاد والأنجاد: الأرض المحفضة، والأنجاد جمع نجد: امكان المرتفع. معجز ومفحم: أي إن الاحتياج إلى القوانين العرفية لعجز الإنسان وجهه، فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك الحسن الإجمالي كماله بدون توسط تلك القواعد الفنية، ولكن الله تعالى قادر على كل شيء، فلا حاجة له إلى تلك القوانين الاصطلاحية لتحصيل ذلك الجمال المشترك بين كلام طوائف الناس.

منه قاعدة، وتلك القاعدة: أنه تعالى قد راعى في أكثر السور امتداد النفس لا البحر الطويل والمديد، وكذلك اعتبر في العواصل انقطاع النفس بالمدّة، وبما تستقر عليه المدّة، لا قواعد فن القافية. وهذه الكلمة أيضاً تقتضي بسطاً وتفصيلاً فليُنقِ القارئ السمع لما يُذكر بالتالي.

الامتداد النفسي الطبيعي هو الوزن في القرآن:

اعلم أن دخول النفس في الحلقوم وخروجه منه أمر طبيعي في الإنسان، وإن كان تمديده وتقصيره من مقدوره، ولكنه إذا تُرك على سجيته فلا بد له من امتداد محدود، والإنسان حينما يتنفس يحد النشاط، ثم يضمج ذلك النشاط تدريجاً، حتى يقطع كلياً في آخر الأمر، ويضطر إلى أخذ النفس الجديد الطازج.

وهذا الامتداد أمر محدّد بحدٍ مُبهم، ومقدّر بمقدار مشترك بحيث لا يضُرُّه نقصان كلمتين أو ثلاث، بل ولا نقصان قدر الثلث والربع وكذلك لا يُخرجه عن الحد زيادة كلمتين أو ثلاث، بل ولا زيادة قدر الثلث والربع، ويسع فيه اختلاف عدد الأوتاد والأسباب، ويُسامح فيه بتقدم بعض الأركان على بعض.

فجعل هذا لامتداد النفس وزناً، وقُسّم على ثلاثة أقسام:

(١) طويل (٢) ومتوسط (٣) وقصير

١- أما الطويل: فنحو سورة النساء.

٢- وأما المتوسط: فنحو سورة الأعراف والأنعام.

٣- وأما القصير: فنحو سورة الشعراء والدخان.

النفس: فتح الفاء ريح يدحرج ويخرج من فم الحي حالة النفس (نفس)، والجمع أنفاس.

الأوتاد والأسباب: الوند: ثلاثة أحرف ثابته أو ثالثها ساكن، فإن سكر كما في "قول" فهو الوند المفروق، وإن تحرك وسطها، وسكن آخرها كما في "عنى" فهو الوند المجموع، والسبب: حرفان، ثابتهما ساكن نحو "نم" ويسمى سبباً حقيقاً، وإن كانا متحركين، فهو سبب ثقيل، نحو: "أر" في لم أر. **الأركان:** أفاعيل الغرويض وتفاعيلهم.

خاتمة النفس على المدّة هي القافية في القرآن:

وخاتمة النفس على المدّة المعتمدة على حرف، هي القافية المتسعة التي يتلذذ الطبع من إعادتها مراراً، ولو كانت تلك المدّة في موضع "ألفاً"، وفي موضع آخر "واواً" أو "ياءً"، وسواء كان ذلك الحرف الأخير في موضع "باء"، وفي موضع آخر "ميماً" أو "قافاً" فـ "يعلمون" و "مؤمنين" و "مستقيم" كلّها متوافقة، و "خروج" و "مريح" و "تحيد" و "تار" و "فواق" و "عجاب" كلّها على قاعدة.

لحوق الألف في آخر الكلمة أيضاً قافية:

وكذلك لحوق الألف في آخر الكلمة قافية متسعة في إعادتها لذّة. ولو كان حرف الروي مختلفاً فيقول في موضع "كريمًا" وفي موضع آخر "حديثاً"، وفي موضع ثالث "بصيرًا". فإن التزم في هذه الصورة موافقة الروي، كان من قبيل: "التزام ما لا يلتزم" كما وقع في أوائل سورة مريم وسورة الفرقان.

توافق الآيات على حرف واحد وإعادة الجملة مفيداً لذّة:

وكذلك توافق الآيات على حرف واحد، كحرف "الميم" في سورة القتال، و "الو" في سورة الرحمن يفيد لذّة وحلاوة. وكذلك إعادة جملة بعد طائفة من الكلام مفيداً لذّة كما وقع في سورة الشعراء، وسورة القمر، وسورة الرحمن، وسورة المرسلات.

اختلاف فواصل آخر السورة من أوائلها:

وقد تُبدّل فواصل آخر السورة أوائلها تنشيطاً لسماع، وإشعاراً بلطافة الكلام، مثل: "إذاً" و "هذا" في آخر سورة مريم، ومثل: "سلاماً" و "كراماً" في آخر سورة الفرقان، ومثل: "طين" و "ساجدين"

الروي: كل حرف يقع آخر البيت، إلا ما استثنى منه من التنوين، أو بدل من التنوين، أو حرف إشباعي محلول لبيان الحركة، وما إلى ذلك. **التزام** إلخ: استمر على ما كنت عليه من غير تغيير في شيء منه.

الآية ذات الفاصلتين:

وقد نحيء سبحانه وتعالى بفاصلتين في آية واحدة كما يكون ذلك في اسيت أيضاً، نحو:
كالرهر في ترف، والدر في شرف والحر في كرم، والدر في همم

أطول آية مع الآيات القصار:

وقد نحيء بالآية الواحدة أطول من سائر الآيات، والسرية: أنه لو وضع حسن الكلام اسدي
نشأ من تقارب الوزن ووجدان الأمر المتطر اسدي هو القافية في كفة، ووضع حسن الكلام اسدي
نشأ من سهولة الأداء وموافقة طبع الكلام، وعدم لحوق التعبير فيه في كفة أخرى، ترجح الفطرة
السليمة جانب المعنى فيهمل أحد الانتطارين، ويوفي الحق في الانتطار الثاني.

م نراع ذلك الورن والقافية في بعض السور:

وأما ما قلنا في فاتحة المبحث: أن سة الله تعالى قد جرت في أكثر السور على ذلك، فإنما هو لأجل
أن الله سبحانه وتعالى لم نراع في بعض السور ذلك النوع من الورن والقافية، فجاءت طائفة من
الكلام على منهج خطب الخطباء وأمثال الحكماء، وأهلك قد سمعت مسامرة النساء المروية عن
سيدتنا عائشة رضي الله عنها وفهمت قواهاها، ووقع الكلام في بعض السور على منهج رسائل العرب بدون
رعاية شيء، مثل محاورة الناس، إلا أنه يعتنم كل كلام بشيء يكون مبياً على الاختتام.

والسر هنا: أن الأصل في لغة العرب هو الوقف في موضع ينتهي إليه النفس، ويضمحل شاطئ

في آية واحدة كقوله تعالى: رث لثرفن رث نعرين (الرحمن: ١٧)، وقوله تعالى: "ثم حصهم ثم عرفو
فأدجنو" راقم نحدو هم من دون الله أنصار (يوح: ٢٥)، في همم والشعر من تقصيدة الردة في
وصف اسدي، والترف: العمومة، والمعنى: أنه لا مثل الرهر في اللطفة، والدر في الشرف، والحر في الكرم،
والدر في الكرم على شيء. أطول من سائر الآيات: كما في سورة المدثر ٣١، فإنها أصول مما قلناها.

جانب المعنى: يعني ترجح حسن الكلام الذي نشأ من سهولة الأداء إلخ.

* صحيح البخاري ص: ٧٧٩.

الكلام، والمستحسن في محل الوقف انتهاء النفس على المدّة، ومن أجل هذا تشكّل الكلام في صورة الآيات، هذا ما فتح الله تعالى على العاجز في هذا الباب، والله أعلم.

وجه اختيار الأوران والقوافي الجديدة:

وإن سألوا: لماذا لم يختار سبحانه وتعالى تلك الوزن والقافية اللذين هما معتبران عند الشعراء، وهما ألدّ من هذا؟

قلنا: كونهما ألدّ يختلف باختلاف الأقوام والأدهان، ولو سلمنا، فإبداع أسلوب من الوزن، والقافية على لسان رسول الله ﷺ - وهو أميٌ - آية طاهرة على نبوته ﷺ.

ولو نزل القرآن على أوزان الأشعار وقوافيها لحسب الكفار أنه هو الشعر المعروف المشهور عند العرب، ولم يحنّوا من ذلك الحسبان فائدة، كما أن البلغاء من الشعراء والكُتّاب حين يحاولون إبراز مزيتهم، ورحجانهم على أقرانهم على رؤوس الأشهاد يستسطون صناعة جديدة، ويتحدّون: "هل من رجل يقرض الشعر مثلي، ويكتب الرسالة نحوي؟" ولو جرى هؤلاء على النمط القديم لم تظهر براعتهم إلا على المحققين البارعين.

الفصل الثالث

في وجه التكرار في العلوم الخمسة وعدم الترتيب في بيانها

(١) إن سألوا: لماذا كرّرت مطالب العلوم الخمسة في القرآن العظيم؟ ولم لم يكتب سبحانه وتعالى بيانها في موضع واحد؟

قلنا: إن ما نريد إفادته للسامع على قسمين:

الأول: أن يكون المقصود هناك مجرد تعليم ما لا يعلم، فالمحاطب الذي لا يدري حكماً من الأحكام ولم يدركه عقله، إذا سمع هذا الكلام يصير ذلك المجهول عنده معلوماً.

والقوافي الجديدة غيرت هذا البحث من موضعه إلى هنا؛ لآتساقه مع مباحث الفصل. سلمنا أي لو سلمنا أن أوران الشعراء وقوافيهم ألدّ مطلقاً عند جميع طوائف الناس لقلنا: إبداع إلح.

والثاني: أن يكون المقصودُ استحضارَ صورةِ ذلك العلم في قوته المدركة ليتلذذ به لذة تامة، وتفنّي القوى القلبية والإدراكية في ذلك العلم، ويغلب لونُ ذلك العلم القوى كُلِّها حتى تنصبغ به، كما نكرر الشعر الذي علمناه معناه، فنجد كلَّ مرة لذةً جديدة، ونحب التكرار لأجل هذه الفائدة.

والقرآن العظيم أراد إفادة القسمين المذكورين بالنسبة إلى كل واحد من مباحث العلوم الخمسة، فأراد تعليمَ ما لا يعلم بالنسبة إلى الجاهل، وأراد انصبغَ النفوس بتلك العلوم بتكرارها بالنسبة إلى العالم، اللهم إلا أكثر مباحث الأحكام، فإنه لم يقع فيها هذا التكرار؛ لأن الإفادة الثانية غيرُ مطلوبة فيها.

ولأجل ذلك أمرنا الله تعالى بتكرار التلاوة والإكثار منها، ولم يكتف بمجرد الفهم. ولكن راعى سبحانه وتعالى مع التكرار هذا القدر من الفرق: أنه اختار في أكثر الأحوال تكرارَ تلك المطالب بعارة طريّة وأسلوب جديد؛ ليكون أوقع في النفوس، وألذ في الأذهان، ولو كرر سبحانه وتعالى بلفظ واحد لكان كاللورد الذي يكررونه، وأما في صورة اختلاف التعابير وتنوع الأساليب فيخوض الذهن، ويتعمق الخاطر بأسره في تلك المطالب.

(٢) وإن سألوا: لماذا نُشِرت هذه المطالب في القرآن العظيم. ولم يُراعِ الترتيب. فيذكر آلاء الله أولاً، ويستوفي حقّها، ثم يذكر أيامَ الله فيكملها، ثم يبدأ بالجدل مع الكفار؟

قلنا: إن قدرة الله تبارك وتعالى وإن كانت محيطية بجميع الممكنات، ولكنّ الحاكم في هذه الأبواب هو الحكمة. والحكمة: هي موافقة المبعوث إليهم في الدسان وأسلوب البيان، وإلى هذا المعنى أشير في قوله تعالى:

﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ إِلَٰهَاتُكُمْ إِلَٰهَةٌ وَاحِدَةٌ لَأَكْثَرَ النَّاسَ هُدًى ۚ لَٰكِن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾

ولم يكن لدى العرب إلى وقت نزول القرآن أيُّ كتاب لا من الكتب الإلهية، ولا من مؤلفات

كاللورد: الوظيفة أي النصيب من القرآن أو الذكر، يقال: قرأت وردي.

(١) فصلت: ٤٤.

استشر، وإن الترتيب الذي اخترعه المصنفون اليوم لم يكن يعرفه العرب، وإن كنت في ريب من هذا، فتأمل قصائد الشعراء **المُخَضَّرَمِينَ** وقرأ رسائل النبي الكريم ﷺ، ومكاتيب عمر الفاروق - - . بتّضح لك هذه الحقيقة، فلو جاء الكلام على غير ما كانوا يعهدونه من طرائق البيان لوقعوا في الحيرة، ولوّصل إلى سمعهم شيء لا يالفونه، ولشوّش عقولهم. وأيضاً: لم يكن المقصود مجرد إفادة ما لا يعلمونه، بل المقصود هو الإفادة مع الاستحسان والتكرار، ويتوفّر هذا المعنى في غير المرتب بأقوى وجه وأتم صورة.

الفصل الرابع

في وجوه إعجاز القرآن الكريم

وإن سألوا: ما هو وجه الإعجاز في القرآن الكريم؟ قلنا: الذي تحقّق عندنا هو أن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة: منها: الأسلوب البديع: لأن العرب كانت لهم عدّة ميادين يركضون فيها خواد البلاغة، ويتسابقون فيها مع أقراهم، ألا وهي القصائد والخطب والرسائل والمحاورات، ولم يكونوا يعرفون غير هذه الأصناف الأربعة، ولم يكن عندهم قدرة على إبداع أسلوب سواها، فإبداع أسلوب غير أساليبهم على لسان النبي الأمي ﷺ عين الإعجاز. ومنها: الإخبار عن إقصص الماضية وأحكام أهل السابقة على وجه يصدّق الكتب السابقة بدون تعلّم من أحد.

ومنها: الإخبار بالأحوال الآتية، فكما وُجد شيء منها على طبق ذلك الإخبار ظهر إعجاز حديد. ومنها: ادرجة العيا من اسلاعة التي ليست من مقدور البشر، ونحن إذ حننا بعد العرب الأولين،

المحصّر من المحصر: الذي مضى شيء من عمره في الحاضرة وشيء في الإسلام، وحصّه بالذكر يعرف أسلوب العرب وقت نزول القرآن.

لا يستطيع أن نصل إلى كُنْهها، ولكنَّ القدرَ الذي نعلمه، هو أن استعمال الكلمات الجزلة والتركيبات الغنية مع البساطة وعدم التكلف، كما أخذ ذلك في القرآن العظيم، لا أخذ مثله في أي قصيدة من قصائد المتقدمين والمتأخرين، وهذا أمر ذوقي يدركه - كما ينبغي - المهرة من الشعراء، ولا يتذوقه العامة.

وكذلك نعلم أن في أنواع التذكير الثلاثة، واحد مع الكفار تُكسى المصالب في كل موضع حسب أسلوب السورة لباساً جديداً طريفاً، تقصُر يد المتطاول عن ذنبه.

وبن تعسر إدراك ذلك على أحد فيتأمل في إيراد قصص الأسياء في سورة الأعراف وهود والشعراء، ثم ليضر إليها في الصافات، ثم ليقرأ هذه القصص نفسها في اداريات، ليتجلى له الفرق.

وكذلك الحال في ذكر تعذيب العصاة وتنعيم المطيعين، فقد يذكر ذلك في كل مقام بأسلوب جديد، وهكذا تخصُّ أهل النار بعضهم مع بعض، بتجلى في كل مقام في صورة جديدة، والكلام في هذا يطول.

وكذلك نعلم أيضاً أن رعاية مقتضى الحال الذي تفصيله في علم المعاني، واستعمال الاستعارات والكلمات التي تكفل ببيانها علم البيان مع مراعاة حال المحاطين الأميين الذين يجهلون هذه الصناعات، لا يُتصور كل ذلك أحسن مما يوجد في القرآن العظيم؛ وذلك لأن المطوب في القرآن الكريم أن تُودع في مخاطبات المعروفة التي يعرفها كل أحد من الناس، نكتة رقيقة مفهومة عند العامة، مرضية عند الخاصة، وهذا الأمر كالجمع بين الضدين ليس من مقدور البشر، والله على كل شيء قدير، والله درُّ الشاعر حيث يقول:

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

الجزلة: الجزل من الكلام: القوي الفصيح الجامع. **المعروفة:** الحوار العام.

يقول: قد ذكر المصنف هنا شعراً فارسياً، وهو

زفرق تا قدش بر کجا که می گرم کرشمه دامن دل می کشد که جا لبخاست

ومها: وجهٌ لا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع، وذلك: أن العلوم الخمسة نفسها تدل على أن القرآن نازل من عند الله تعالى هداية بني آدم، كما أن عالم "الطب" إذا نظر في 'القانون' ولا حظ تحقيقه وتدقيقه في بيان أسباب الأمراض وعلاماتها، ووصف الأدوية وخواصها، لا يشكُّ أن المؤلف كامل في صناعة الطب، كذلك إذا علم العالمُ بأسرار الشرائع الأشياء التي ينبغي تلقينها للناس لتهديب نفوسهم، ثم يتأمل في العلوم الخمسة، يعلم قطعاً: أن هذه الفنون قد وقعت موقعها، بحيث لا يُتصور أحسنُ منه:

والشمسُ الساطعةُ تدل بنفسها على نفسها
فإن كنتَ في حاجة إلى الدليل فلا تُولِّ وجهك عنها

القانون: القانون في الطب للشيخ الرئيس أبي علي حنين بن عبد الله المعروف بابن سينا، امتوى سنة ٤٢٨ هـ. **فلا تُولِّ وجهك عنها:** ليس هذا بشعر، إنما هو ترجمة للشعر الفارسي:

آفتاب آفتاب دلیک آفتاب گرو لیت باید از روی رو متاب

الباب الرابع

في بيان مناهج التفسير وتوضيح الاختلاف الواقع في تفاسير الصحابة والتابعين

طوائف المفسرين:

يُعلم أن المفسرين عدّة أصناف:

جماعة قصدوا رواية آثار مناسبة للآيات، سواء كان حديثاً مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً أو خيراً إسرائيلياً، وهذا طريق المحدثين.

وفرقه قصدوا تأويل آيات الصفات والأسماء، فما لم يُوافق منها مذهب التنزيه صرفوها عن الظاهر، وردّوا على استدلال المخالفين ببعض الآيات، وهذا طريق المتكلمين.

وقوم صرفوا عنايتهم إلى استنباط الأحكام الفقهية، وترجيح بعض المجتهدين على بعض، والجواب عن تمسك المخالفين، وهذا طريق الفقهاء الأصوليين.

وحجّ أوضحوا إعراب القرآن ولعته، وأوردوا الشواهد من كلام العرب في كل باب موفورة تامة، وهذا منهج النحاة اللغويين.

وطائفة يذكرون نكات المعاني والبيان بياناً شافياً، ويتفاخرون في ذلك الباب، وهذا طريق الأدباء. واهتم بعضهم برواية القراءات المأثورة عن شيوخهم، فلم يدعوا دقيقاً ولا جليلاً في هذا الباب إلا جاؤوا به، وهذه صفة القراء.

وبعضهم يُطلقون اللسان بنكات متعقبة بعلم السلوك، أو علم الحقائق بأدنى مناسبة، وهذا مشرب الصوفية.

مقطوعاً: الحديث المرفوع: ما رُفِعَ إلى النبي ﷺ. والحديث الموقوف: ما انتهى إلى الصحابي، والحديث المقطوع: ما انتهى إلى التابعي. **مذهب التنزيه:** هو مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الصفات المتشابهات. **إعراب القرآن:** قوله: "إعراب القرآن" يعني نحو القرآن وصرفه. **بعلم السلوك إلخ:** هو علم الإحسان، وعلم الحقائق كالتغاية له.

والخمة: فالجاء واسع، ويقصد كل منهم تفهيم معاني القرآن الكريم، وحاض في فن من الفنون، وتكتم على قدر فصاحته وفهمه، واتحد مذهب أصحابه نصب عييه، ولأجل ذلك اتسع مجال التفسير اتساعاً لا يُحدُّ قدره، وصُنِّفت كتب كثيرة لا يحصرها عدد.

جوامع التفاسير:

وقصد جماعة منهم إلى جمع ذلك كله في تفاسيرهم، فمنهم من تكتم بالعربية، ومنهم من تكتم بالفارسية، واحتنفوا في الاختصار والإطناب، ووسَّعوا أذيال العلم.

من الله به عليّ في علم التفسير:

وقد حصل للفقير حمد الله تعالى وتوفيقه ماسة في كل فن من هذه الفنون، وأحطت بمُعظم أصولها، ونجسة صالحة من فروعها، وفرت نوح من التحقيق والاستقلال في كل باب من أبوابها بوجه يشبه الاجتهاد في المذهب، وأتقى في حصري من بحر الجود الإلهي فدان أو ثلاثة من فنون تفسير، سوى الفنون المذكورة سابقاً، وإن سألتني عن آخر الصديق فأنا تلميذ القرآن العظيم بلا واسطة، كما أتى أويسي في الاستفادة من روح الحي ^١، وكما أتى مستفيد من الكعبة الحسنة بدون واسطة، وكذلك متأثر بالصلاة العظمى بغير واسطة:

الاجتهاد في المذهب هو أن يكون لرجل مجتهد مستقلاً في فروع لا في أصول. **أويسي**، نسبة إلى أوس بن عمرو بن زيد بن عبد شمس، وحديث قصته في صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٩٤: ١٦) كان أوس في زمن علي ^{عليه السلام} وهو تابعي، وكان به ثمة، وكان يركب، فلم يسافر من بيمن لقاء علي ^{عليه السلام}، واستفاد من روحه ^{عليه السلام}، فبلغ مبارز السائرين، كذلك صاحبنا الإمام استفاد منه ^{عليه السلام} بلا واسطة وبدون لقاء **الكعبة الحسنة** بحرف شريف، وبسموم يستفيدون منها بواسطة الصلاة، والكعبة من الرجال يستفيدون منها بلا واسطة، وإحسان تأييد الحسن. **بالصلاة العظمى** بصوت مفرغ فيه وساقية، وكذا لصوت خمس كعب أفرد الصلاة مصققة لكأبه وهي الصلاة لعظمي حتى تتمثل في عالم المثالي، فإن المعنويات هنا أجسام هناك ويسمون يتأثرون بها بواسطة أفرادهم، وأما الذين دعوا أقصى مدرج السالكين فيتأثرون بها بدون واسطة أيضاً، وإليه الإشارة في قوله ^{عليه السلام}، 'حعب فرة عبي في الصلاة'، ولكن مهما بلغ لرجل مبارز لا يستعني عن أفرادها، وإليه الإشارة في قوله ^{عليه السلام}، 'رجلها، بلال

ولو أن لي في كل مَنَبَتٍ شعره لساناً لما استوفيتُ واجبَ حمده
وأرى من الآثار أن أكتب كلماتٍ عديدة في هذه الرسالة عن كل فن من هذه الفنون.

الفصل الأول

في بيان الآثار المروية في تفاسير أصحاب الحديث، وما ينعق لها
قسمان من أسباب النزول:

ومن حملة الآثار المروية في كتب التفسير بيان سبب النزول، وأسباب النزول على قسمين:
الأول: أن تقع حادثة يُمَحَّص بها إيمان المؤمنين وفاق المنافقين، كما وقع ذلك في غروتي أُخْدِ والأحزاب،
فأرسل الله تعالى مدح أولئك وده هؤلاء؛ ليكون فضلاً بين الفريقين، وتقع في أثناء ذكر الحادثة تعريضاتٌ
كثيرة لخصوصياتها، فيجب أن تُشرَّح الحادثة بكلام مختصر ليتضح على القارئ سياق الكلام.
والثاني: أن يكون معنى الآية تاماً بعموم صيغتها من دون حاجة إلى معرفة القصة التي هي سبب
النزول؛ لأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، والقدماء من المفسرين قد ذكروا تلك الحادثة
بقصد استيعاب الآثار المناسبة للآية، أو بقصد بيان ما صدق عليه عموم الآية، وليس من الضروري
ذكر هذا القسم.

معنى قولهم: "نزلت الآية في كذا":

وقد تحقَّق لدي الفقير: أن الصحابة والتابعين ~~كثراً~~ كثيراً ما كانوا يقولون: "نزلت الآية في كذا"،
ويكون عرضهم تصوير ما صدقت عليه الآية، أو ذكر بعض الحوادث التي تشتملها الآية بعمومها،
سواء تقدَّمت القصة على نزول الآية أو تأخرت عنه، إسرائيلية كانت القصة أو جاهلية أو إسلامية،
تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها، والله أعلم.

هذه الصور يعني من الصور مباح المفسرين، ثم اعلم أن الإمام تحدَّث في الفصل الأول عن تفسير المحدثين، وفي
الفصل الثاني عن بقية الأصناف.

فَعُم من هذا التحقيق: أن للاحتهاد في هذا القسم مدخلاً، وللقصص المتعددة هناك مجالاً، فمن استحضر هذه النكتة يستطيع أن يعالج اختلاف أسباب النزول بأدق تأمل.

أمور في التفسير لا طائل تحتها:

ومن جملة ذلك: تفصيل قصة وقع في نظم القرآن تعريض بأصلها، فيستقصي المفسرون تفاصيلها من أخبار بني إسرائيل. أو من كتب السير فيذكرونها بجميع أجزائها. وهما أيضاً تفصيل: إن كانت الآية تشتمل على تعريض بالقصة بحيث يتوقف العارف باللغة هناك، ويبحث عنها، فذكرها من وطيفة المفسر. وما كان خارجاً منها مثل ذكر بقرة بني إسرائيل: أذكراً كانت أم أنثى؟ ومثل بيان كلب أصحاب الكهف: هل كان أبقع أم أحمر؟ فذكره مما لا يعنيه، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يكرهونه، ويعذونه من قبيل تضييع الأوقات.

القدماء ربما يفسرون على سبيل الاحتمال:

وليُحفظ ههنا أيضاً نكتتان:

الأولى: أن الأصل في هذا الباب إيراد القصص المسموعة كما رويت من غير تصرف عقلي فيها، وأما طائفة من قدماء المفسرين فيضعون ذلك التعريض نصب أعينهم، ويفرضون له محملاً مناسباً، ويسبونه على سبيل الاحتمال، فيشتبه الأمر على المتأخرين، ولما لم تكن أساليب البيان منقحة في ذلك العصر، فرمما يشتبه التفسير على سبيل الاحتمال بالتفسير مع اجزم، فيذكرون أحدهما مكان الآخر، وهذا أمر اجتهداي، وللنظر العقلي فيه محال، ورَكْضُ حِيادِ القيل والقال هناك ممكن.

ومن حفظ هذه النكتة فإنه يستطيع أن يحكم حكماً فصلاً في كثير من مواضع الاختلاف بين المفسرين، ويمكن أن يعلم في كثير من مناظرات الصحابة رضي الله عنهم: أنها ليست آرائهم القطعية، بل هي

في هذا القسم أي في الصورتين المذكورتين، وهما تصوير ما صدقت به. ومن جملة ذلك: أي من الآثار المروية في كتب التفسير. فيستقصي الأمر: بلغ أقصاه في البحث عنه. أبقع: سياه وسفيدانغول والا.
في هذا الباب: أي في بيان القصص في تفسير الآيات.

بحوث علمية، يتداولها المجتهدون فيما بينهم.

وعلى هذا المحمل يُحمِلُ العبد الضعيف قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ وَزُحِّلْكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ^(١): "لا أجد في كتاب الله إلا المسح، لكنهم أتوا إلا الغسل" ^(٢) فالذي يفهمه الفقير: أنه ليس هذا بذهاب منه إلى وجوب المسح، وليس فيه جزم بحمل الآية على ركنية المسح، بل الذي ثبت عند ابن عباس رضي الله عنه هو الغسل، ولكنه يقرر هنا إشكالاً، ويؤدي احتمالاً ليرى كيف يطبق علماء عصره في هذا التعارض؟ وأي مسلك يسلكونه؟ فزعم الذي لم يطعن على حقيقة محاورات السلف هذا قول ابن عباس رضي الله عنه، وعده مذهباً له، حاشاه! ثم حاشاه!!

النقل عن بني إسرائيل دسييسة دخلت في ديننا:

النكتة الثانية: هي أن النقل عن بني إسرائيل دسييسة دخلت في ديننا بعد ما كانت قاعدة: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ^(٣) مقررّة، فنزم لأجل ذلك أمران:

الأول: أن لا يُرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا وجد في سنة نبينا ﷺ بيان لتعريض القرآن، مثلاً حينما وجد لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ نَابَهُ﴾ ^(٤) محمل في السنة النبوية - وهو قصة ترك "إن شاء الله" والمواخذه عليه - فأبيّ حاجة إلى ذكر قصة صخر المارد؟!. والثاني: أن يُتَكَّم بقدر اقتضاء التعريض نظراً إلى قاعدة: "الضروري يتقدّر بقدر الضرورة"،

دسييسة. ما أكره من المكر والعداوة (خفي سرز و عداوت). **الضروري يتقدّر إلخ.** القاعدة الحادية والعشرون في شرح القواعد الفقهية للشيخ الزرقاء (ص: ١٣٣).

* والأثر في روح المعاني (٧٧: ٦) ومعناه: أن ظاهر الكتاب يوجب المسح على قراءة الحر، ولكن الرسول ﷺ وأصحابه لم يفعلوا إلا الغسل، ففي كلامه هذا إشارة إلى أن قراءة الحر مؤولة متروكة الظاهر بعمل رسول الله ﷺ والصحابه رضي الله عنهم (روح المعاني) ^(٥) رواه البخاري كما في المشكاة رقم الحديث: ١٥٥ كتاب الإيمان باب الاعتصام إلخ، وفيه النهي عن تصديق أهل الكتاب فيما لا يعرف صدقه من قبل الكتاب والسنة، وفي النقل عنهم من غير ردّ عليهم تصديق لهم فلا يجوز، ولكن الناس تساهلوا في هذا الباب.

(١) المائدة: ٦. (٢) ص: ٣٤.

لِيُمكن تَصَدِيقُه بِشَهادَةِ القرآن، وَلِيُكفَّ لسانَه عَنِ الزيادة عَلَيْهِ.

تفسير القرآن بالقرآن:

وهي نكتة لطيفة إلى الغاية، لا بد من معرفتها، وهي: أنها قد تُذكر في القرآن العظيم قصة في موضع بالإجمال، وفي موضع آخر بالتفصيل، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، ثم قال بعد ذلك: ﴿لَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُنْذِرُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(٢)، فهذا القول الثاني هو القول الأول بنوع من التفصيل. فيمكن أن يُعلم به تفسير ذلك الإجمال، ويركض من الإجمال إلى التفصيل.

ومثالاً: ذكر في سورة مريم قصة سيدنا عيسى عليه السلام إجمالاً، فقال تعالى: ﴿وَلَجَعَلْنَاهُ نَاسِئًا لِّدَاسٍ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ مُرْءًى مَّقْصِيًّا﴾^(٣)، وذكرت في سورة آل عمران تفصيلاً، فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ سَيِّدَيْهِ إِذْ تَبَرَأَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ اذْهَبْ مِنْهَا صَافِيًّا﴾^(٤)، وفي هذه المقولة إشارة تفصيلية، وتذكر المقولة بشارة إجمالية، فمن ثم استنبط العبد الضعيف أن معنى الآية: "ورسولاً إلى بني إسرائيل، مُخْبِراً بَأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ"، وهذا كله داخل في حيز البشارة ليس بمتعلق بمحذوف، كما أشار إليه السيوطي، حيث قال: "فلما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل قال لهم: "إني رسول الله إليكم بأنني قد جئتكم" والله أعلم.

وجه اختلاف السلف في شرح غريب

القرآن وكيف يخرج المفسر من العهدة في ذلك:

ومن جملة ذلك: شرح الغريب، ومبناه على تَتَبُّع لغة العرب، أو التفتُّن بسياق الآية وسباقها،

قصة: يعني مضموناً، لا قصة معروفة فقط. حيث قال تفسير الحلالين ص: ٥١. ومن جملة ذلك: أي من الآثار المروية في كتب التفسير. **التفتُّن** أي تنه له. **وساقها:** اسياق - بالياء التحتانية - هو القرينة المحقة، والساق - بالياء الموحدة - هو القرينة السابقة.

(١) المقرة: ٣٠. (٢) البقرة: ٣٣. (٣) مريم: ٢١. (٤) آل عمران: ٤٩.

ومعرفة مناسبة اللفظ بأجزاء الجملة التي وقع هو فيها فهنا أيضاً للعقل مدخل، وللإختلاف مجال؛ لأن الكلمة الواحدة تأتي في لغة العرب لمعان شتى، وتختلف العقول في تتبع استعمالات العرب، والتفطن بمناسبة السابق واللاحق، ولهذا اختلفت أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في هذا الباب، وسلك كل منهم مسلكاً.

فلا بد للمفسر المصنف أن يزن شرح الغريب مرتين:

مرة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه من وجوهها أقوى وأرجح.

ومرة أخرى في مناسبة السابق واللاحق، حتى يعلم أي الوجهين أولى وأقعد بعد إحكام المقدمات، وتتبع موارد الاستعمال، وتفحص الآثار.

استنباطات العبد الضعيف في شرح الغريب:

وقد استنبط الفقير في هذا الباب استنباطات طازجة لا يخفى لطافتها إلا على المتعسف غليظ الطبع، مثلاً:

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(١) حملته على معنى: "تَكَافؤُ الْقَتْلَى"، ومشاركة بعضهم مع بعض في حكم واحد" لئلا يحتاج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْثَى بِالنَّذَى﴾ إلى مؤونة النسخ، ولا يضطر إلى توجيهات تضمحل بأدنى التفات.

وكذلك حمته قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾^(٢) على معنى: "يسألونك عن الأشهر" أي أشهر الحج، فقال تعالى: ﴿هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَلَحْجٌ﴾.

وهكذا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾^(٣) أي: لأول جمع الجنود؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّعَتْ فِي الْأَمْثَالِ حَشِيرٌ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرٌ

وأقعد: الأقعد و القعيد: الأقرب. طازجة: الطارح: الحديد الحديث معرب تاره. المتعسف: ضد المصنف من تعسف فلاناً؛ ظلمه. مؤونة: تضي، بوجه، شقت.

(١) البقرة: ١٧٨. (٢) البقرة: ١٨٩. (٣) الحشر: ٢. (٤) الشعراء: ٣٦.

لَسَلِمَ خُوْدُهُ ١٠٠. وهذا أوفق بقصة بني النضير، وأقوى في بيان المنة.

اختلاف المتقدمين والمتأخرين في معنى "النسخ"

مما أوجب الاختلاف في عدد الآيات المنسوخة:

ومن جملة ذلك: بيان الناسخ والمنسوخ، وينبغي أن تُعرف هنا نكتتان:

الأولى: أن الصحابة والتابعين ١٠١ كانوا يستعملون "النسخ" بغير المعنى الاصطلاحي المعروف بين الأصوليين، ومعناهم قريب من المعنى اللغوي الذي هو "الإزالة".

فمعنى النسخ عندهم: إزالة بعض أوصاف الآية المتقدمة بالآية المتأخرة، سواء كان ذلك ببيان انتهاء مدة العمل بها، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر، أو ببيان كون قيد من القيود مُقْحَمًا، أو بتخصيص عام، أو ببيان الفارق بين المنصوص وبين ما قيس عليه ظاهراً، أو ما أشبه ذلك. وهذا باب واسع، وللعقل فيه مجال، وللاختلاف فيه مساع، وهذا أبلغوا الآيات المنسوخة إلى خمس مائة آية.

ربما يُجعل الإجماعُ علامةً للنسخ:

والثانية: أن الأصل في بيان النسخ بالمعنى الاصطلاحي هو معرفة تاريخ النزول، ولكنهم ربما يجعلون إجماع السلف الصالح، أو اتفاق جمهور العماء على شيء علامةً للنسخ فيقولون به، وقد فعل ذلك كثير من الفقهاء. ويمكن أن يكون في مثل هذه المواضع، ما تصدق عليه الآية غير ما ينطبق عليه الإجماع.

وبالجملة: ففي الآثار التي تبى عن النسخ غمر عظيم، يصعب الوصول إلى غوره.

غمر: الماء الكثير ومعظم البحر، والجمع غمار وغُمر.

(١) النمل: ١٧.

أُمُور أُخَرُ يَذْكُرُونَهَا فِي التَّفَاسِيرِ:

وللمحدثين أشياء أُخَرُ خارجة عن هذه الأقسام يوردونها أيضاً في تفاسيرهم، كمناظرة الصحابة رضي الله عنهم في مسألة واستشهادهم بآية، أو تمثيلهم بآية من الآيات، أو تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم آية من الآيات، أو رواية حديث يوافق الآية في أصل معناها، أو طريق التلفظ بالنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الفصل الثاني

في بقية لطائف هذا الباب

الكلام حول استنباط الأحكام:


ومن جملة ذلك: استساط الأحكام، وهذا الباب واسع جداً، وللعقل مجال فسيح في الاطلاع على فَحَاوَى الآيات وإيماءاتها واقتضاءاتها، والاختلاف بخدافيره حاصل فيه، وقد ألقى الله تعالى في رُوح الفقير حَصْرَ الاستنباطات في عشرة أقسام، والترتيب فيما بينها، وتلك المقالة ميزان عظيم لوزن كثير من الأحكام المستنبطة.

التوجيه في تفسير القرآن الكريم:

ومن جملة ذلك: التوجيه، وهو من كثير الشُعَب، يستعمله الشراح في شرح المتون، ويُختَر به

ومن جملة ذلك أى من جملة فنون التفسير ومناهجه. **فحَاوَى**. الفحوى: أن يُفهم الكلامُ حال المسكوت عنه بواسطة المعنى الحامل على الحكم، مثل: **لَا تَقُلْ جَمِلاً** يُفهم منه حرمة الصرب بطريق الأولى. **إيماءاتها** والإيماء: أن يكون أداء المقصود بعبارات يراء الاعتبارات أساسية، كالتقييد بالوصف والشرط يدلان على عدم الحكم عند عدمهما. **اقتضاءاتها**: والاقضاء: أن يُفهم الكلامُ حال المسكوت عنه بواسطة لرومه للمستعمل فيه عادة أو عقلاً أو شرعاً، كقوله: "بعث" يقتضي سقُ الملك شرعاً. **خدافيره**: أى بأسره جمع الخدافار والخذفور: الخائب والناحية. **عشرة أقسام**: وهي: ١- ما صُرِّح فيه بثبوت الحكم لموضوع له عيماً، وسبق الكلام لأجله. ٢ و ٣ و ٤- ما عُدِم فيه أحد القيود الثلاثة ٥- الفحوى ٦- الاقتضاء ٧- الإيماء ٨- الدرج في العموم ٩- الاستدلال بالملازمة أو المنافاة ١٠- القياس. **تلك المقالة إلخ**: والمقالة في "حجة الله البالغة" (١: ٣٠٣).

ذكاؤهم، ويظهر به تفاوتُ درجاتهم.

وقد تكلم الصحابة  - وإن لم تكن أصولُ التوجيه منقحة في عصرهم - في توجيه الآيات الكريمة، وأكثروا منه.

وحقيقة التوجيه: أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام مؤلف، يقف الشارح هناك، فيحلُّ تلك الصعوبة. ولما لم تكن أذهانُ قُرَّاء الكتاب في مرتبة واحدة، لم يكن "التوجيه" أيضًا في مرتبة واحدة، فالتوجيه بالنسبة إلى المتدئين غيرُ التوجيه بالنسبة إلى المنتهين، إذ ربما يخطر ببال المنتهي صعوبة فهم، فيحتاج إلى حلها، والمتدي غافل عنها، بل لا يقدر أن يُحيط بها، وكثير من الكلام يستصعبه المتدي، ولا يحصل في ذهن المنتهي شيء من الصعوبة هناك، فالذي أحاط بجوانب العقول يراعي حال جمهور القراء، ويتكلم على قدر عقولهم.

فعمدة التوجيه:

في آيات الجدل: تحرير مذاهب الفرق الباطلة، وتنقيح وجوه الإلزام.
وفي آيات الأحكام: تصوير صورة المسألة، وبيان فوائد القيود، من الاحتراز أو غيره.
وفي آيات التذكير بآلاء الله: تصوير تلك النعم وبيان مواضعها الجزئية.
وفي آيات التذكير بأيام الله: بيان ترتب بعض القصص على البعض، وإيفاء حق التعريض الذي يرد في أثناء سرِّدِ القصة.

وفي التذكير بالموت وما بعده: تصوير تلك الأمور، وتقرير تلك الحالات.

أنواع التوجيه:

ومن فنون التوجيه:

- ١- تقريب ما كان بعيداً عن الفهم بسبب عدم الألفة به.
- ٢- ودفع التعارض بين الدليلين أو التعريضين، أو فيما بين المعقول والمنقول.

٣- والتفريق بين الملتبسين.

٤- والتطبيق بين المختلفين.

٥- وبيان صدق الوعد الذي أشار إليه في الآية.

٦- وبيان كيفية عمل النبي ﷺ بما أمر به في القرآن العظيم.

وبالجملة: فالتوجيه كثير في تفسير الصحابة، ولا يُقضى حقه حتى يُبين المفسر وجه الصعوبة مفصلاً، ثم يتكلم في حل الصعوبة بالتفصيل، ثم يزن تلك الأقوال وزناً عادلاً.

غلو المتكلمين:

وأما غلو المتكلمين في تأويل المتشابهات وبيان حقيقة الصفات، فليس هذا من مذهبي، بل مذهبي مذهب مالك والثوري وابن المبارك وسائر المتقدمين، وهو: إمرار المتشابهات على ظواهرها وترك الخوض في تأويلها.

الجدال في القرآن:

والتزاع في الأحكام المستنبطة، وإحكام مذهب نفسه، وهذم مذهب الآخرين، والاحتيال لدفع الأدلة القرآنية، كل ذلك ليس بصحيح عندي، وأخشى أن يكون ذلك من قبيل "التدارؤ بالقرآن"، وإنما اللازم أن يطلب مدلول الآيات ويتحذه مذهباً له، سواء ذهب إليه الموافق أو المخالف.

لغة القرآن:

وأما لغة القرآن فينبغي أخذها من استعمال العرب الأولين، وأن يعتمد كلياً على آثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

التدارؤ بالقرآن: التدارؤ: التدافع، تدارؤاً: تدافعاً في الخصومة ونحوها، ويحرم التدارؤ بالقرآن بقول النبي ﷺ: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا: ضربوا كتاب الله بعضه ببعض".

نحو القرآن:

وقد وقع في نحو القرآن خلل عجيب، وهو أن طائفة من المفسرين اختاروا مذهب سيبويه، فيؤولون كل ما خالف مذهبه، وإن كان التأويل بعيداً، وهذا لا يصح عندي، بل ينبغي اتباع الأقوى والأوفى بالسياق والسباق، سواء كان مذهب سيبويه، أو مذهب الفراء.

وقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في مثل قوله تعالى: ﴿وَالْقَمِينَ الضُّوَّةَ وَالْمُؤْتُونَ لِرُكُوتٍ﴾ "سَقَمِيْمُهَا الْعَرَبُ بِاللَّسِنَتِهَا"، وتحقيق هذه الكلمة عندي: أن مخالفة التعبيرات المشهورة أيضاً تعبير صحيح، وكثيراً ما يتفق للعرب الأولين: أن يجري على ألسنتهم في أثناء الخطب والمحاورات ما يخالف القاعدة المشهورة. ولما نزل القرآن الكريم بلغة العرب الأولين، فلا عجب: أن جاءت "الياء" في موضع "الواو" أحياناً، أو وقع المفرد مقام التثنية، أو ورد المؤنث مقام المذكر، فالحقق عندي: أن يفسر "والمقيمين الصلاة" بمعنى المرفوع، والله أعلم.

علم المعاني والبيان:

وأما المعاني والبيان فهو علم حادث بعد انقراض عصر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فما كان منه مفهوماً في عرف جمهور العرب فهو على الرأس والعين، وأما ما كان منه مخفياً لا يدركه إلا المتعمقون من أرباب الفن، فلا نسلم أنه مطلوب في القرآن الكريم.

إشارات الصوفية:

وأما إشارات الصوفية واعتباراتهم فإنها ليست في حقيقة الأمر من علم التفسير، بل يحدث عند استماع القرآن الكريم أشياء في قلب السالك، وتتولد تلك الأشياء في قلبه بين النظم القرآني وبين الحالة التي يتصف بها، أو بين المعرفة التي يملكها، كمثل رجل يسمع قصة ليلي والمجنون، فيتذكر

الفراء هو يحيى بن زياد أبو ركريا الكوفي، المعروف بالفراء، توفي سنة ٢٠٧ هـ. **فهو** أرجع ضمير المفرد؛ لأنهما كعلم واحد.

عشيقته، ويستعيد الذكريات التي كانت بينه وبينها.

فن الاعتبار:

وهنا فائدة مهمة ينبغي الاطلاع عليها، وهي: أن النبي ﷺ جعل "فن الاعتبار" معتبراً، وسلك ذلك المنهج ليكون سنة لعلماء الأمة، وفتحاً لباب العلوم الموهوبة لهم:

كما أن النبي ﷺ تمثل بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَتَقَىٰ﴾^(١) في مسألة القدر، وإن كان منطوق الآية: أن من عمل بهذه الأعمال يُهديه إلى طريق الجنة والنعيم، ومن عمل بضدها نفتح له طريق النار والتعذيب، ولكن يمكن أن يُعلم بطريق "الاختبار": أن الله تعالى خلق كلَّ أحد لحالة خاصة، ويُجري عليه تلك الحالة من حيث يدري أو لا يدري، فبهذا الاعتبار كان لهذه الآية الكريمة ارتباطاً بمسألة القدر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٢) فإلهمها فُورها وتَقَوَّاهَا^(٣) فالمعنى المنطوق هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى عرَّف كل نفس بالبر والإثم، ولكن لما كانت بين حق الصورة العلمية للبر والإثم، وبين البر والإثم الموجودان بالإجمال وقت نفخ الروح مشابهة يمكن الاستشهاد بهذه الآية في مسألة القدر أيضاً من طريق الاعتبار، والله أعلم.

الفصل الثالث

في بيان غرائب القرآن الكريم

ليُعلم أن غرائب القرآن الكريم التي خُصِّصَت في الأحاديث بمزيد من الاهتمام وبيان الفضل أنواع:

هنا أي عند ذكر اعتبارات الصوفية. **الاعتبار** هو العبور والانتقال من الشيء إلى غيره، وهو أعم من القياس الشرعي. **غرائب**: جمع غريبة، تأنيث الغريب من غَرَبَ الكلامُ غَرَابَةً: خفي، والمراد هنا: الطريقة النادرة البديعة (أنوكي آيت). **بيان الفصل**: أي السور والآيات التي ورد فيها فضل خاص وها ميزة خاصة.

(١) الليل: ٥. (٢) الشمس: ٧.

- ١ فالغريبة في فن التذكير بآلاء الله: هي آية جامعة لجملة عظيمة من صفات الحق تعالى، مثل آية الكرسي، وسورة الإخلاص، وآخر سورة الحشر، وأول سورة المؤمن.
- ٢ والغريبة في فن التذكير بأيام الله: هي آية يبين فيها قصة نادرة، أو قصة معلومة بجميع تفاصيلها، أو قصة جليلة الفوائد التي تكون محلاً للاعتبارات الكثيرة، وهذا قال النبي ﷺ في قصة موسى والخضر عليهما السلام: «وَدَدْتُ أَنْ أَمُوتَ مِثْلَ مَوْسَى كَمَا حَسَرَ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عِلْسَهُ مِنْ حَرِّهِمَا».*
- ٣ والغريبة في فن التذكير بالموت وما بعده: هي آية تكون جامعة لأحوال القيامة مثلاً، ولذا ورد في الحديث الشريف: «مَنْ سَرَّ أَنْ يَبْصُرَ بِنَوْمِ قِيَامِهِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنَ فِئْتَانِ إِذَا السَّاسُ كُوتَ»^١ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ نَشَقَّتْ﴾.**
- ٤ والغريبة في فن الأحكام: هي آية تكون مشتملة على بيان الحدود، وتعيين الأوضاع الخاصة، كمثل تعيين مائة جلدة في حد الزنا، وتعيين ثلاث جَبِضٍ أو ثلاثة أطهار لعدة المطقة، وتعيين أنصباء الموارث.
- ٥ والغريبة في فن الجدل: هي آية يردُّ فيها سَوْقُ أجواب بنهج غريب، يقطع الشبهة بأبلغ وجه، أو يُبَيِّن فيها حال فريق من تلك الفرق بمثل واضح، كقوله تعالى: «مَتَنَّهُ كَمِثْلِ أَلْدَى سَتَوْفَدَ»^٢ وكذا يبيِّن فيها شناعة عبادة الأصنام، والفرق بين مرتبة الخالق والمخوق، والمالك والمملوك بأمثلة عجيبة، أو إحباط أعمال أهل الرياء والسُّمعة بأبلغ وجه.
- ٦ وغرائب القرآن ليست بمحصورة في الأبواب المذكورة، فأحياناً تكون غريبة من جهة بلاغة القرآن وإنافة أسوبه، مثل سورة الرحمن، ولهذا سميت في الحديث بعُروس القرآن، وأحياناً تكون غريبة من جهة تصوير صورة سعيد وشقي.

الخصر مفتاح فكسر الزرع العَضُّ الأحضر. سمي العَد الصاخ به؛ لأنه قعد مرة في مكان يابس فاحصرت الأرض كما في رواية البخاري رقم الحديث: ٣٤٠٢. **عُروس القرآن**: اشكوة ١٨٩ في فصائل القرآن.

* صحيح البخاري ص: ٦٨٧، كتاب التفسير في تفسير سورة الكهف. ** سنن الترمذي (١٦٨:٢).

ظَهَرَ الْقُرْآنُ وَبَطَنَهُ

لقد ورد في الحديث الشريف: 'لكل آية منها ظهر ووطن، ولكل حرف حدٌّ ولكل حدٌّ مُطَّع *' فينبغي أن يُعَلِّم أن ظهر هذه العلوم الخمسة: هو مدلول الكلام ومنطوقه، والباطن: في التذكير بآلاء الله: هو التفكر في آلاء الله، ومراقبة الحق سبحانه وتعالى.

وفي التذكير بأيام الله: هو معرفة مناصب المدح والذم، والثواب والعقاب من تلك القصص، والاتعاظُ بها. وفي التذكير بالجنة والنار: هو ظهور الخوف والرجاء، وجعل تلك الأمور كأنها بمرأى منه.

وفي آيات الأحكام: هو استنباط الأحكام الخفية بالفحَاوى والإيماءات.

وفي مُحَاجَّةِ الْفِرَقِ الْبَاطِلَةِ: هو معرفة أصل تلك القبائح، وإلحاق مثلها بها.

ومُطَّلَعُ الظَّهَرِ: هو معرفة لغة العرب والآثار المتعلقة بعلم التفسير.

ومطلع السطن: هو لطفُ الذهن واستقامة الفهم مع نور الباطن وسكينة القلب، والله أعلم.

الفصل الرابع

في بيان بعض العلوم الوهية

من العلوم الوهية في علم التفسير التي سبقت الإشارة إليها:

- ١- تأويل قصص الأنبياء عليهم السلام، وللفقير في هذا الموضوع رسالة مسماة "بتأويل الأحاديث"، والمراد من التأويل: هو أن يكون لكل قصة وقعت مبدأ من استعداد الرسول واستعداد قومه بحسب تدبير الله الذي أراده في ذلك الوقت، وكأنه أشار إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾.

* رواه الطبراني في "الكبير"، والنعوي في "شرح السنة"، ورمز له السيوطي في 'الجامع الصغير' — (ح) أي أنه حديث حسن، وأوله: "أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها إلخ، وفي رواية: لكل آية منها إلخ. **بتأويل الأحاديث** رسالة مطبوعة، قصد المصنف فيها إثبات المعجزات والتدليل عليها لفلاسفة والعقلايين، ولكن تأويلاته فيها لا يتفق كلياً مع ظواهر النصوص فليتنبه له.

٢ ومنها: تنقيح العلوم الخمسة التي هي مطوق القرآن العظيم، وقد مرّ تفصيلها في أول الرسالة، فليرجع إليه.

٣ ومنها: ترجمة القرآن الكريم باللغة الفارسية بوجه قريب من النص العربي في مقدار الكلمات، وفي التخصيص والتعميم، وغير ذلك، وسميتها بـ "فتح الرحمن في ترجمة القرآن"، وقد تركت هذا الشرط في بعض المواضع خوفاً من عدم فهم القارئ بدون تفصيل.

٤ ومنها: علم خواص القرآن الكريم، وقد تكلم جماعة من المتقدمين في خواص القرآن من وجهين: وجه كالدعاء، ووجه كالسحر، أعوذ بالله منه، وقد فتح الله على الفقير باباً وراء ما نقل من خواص القرآن، ووضع في ججري جميع الأسماء الحسنى، والآيات العظمى، والأدعية المباركة مرة واحدة، وقال: "هذا عطاؤنا للاستعمال"، ولكن كل آية واسم ودعاء مشروط بشروط لا تضبطها قاعدة، بل قاعدتها: انتظار عالم الغيب كما يكون في حالة الاستخارة، حتى ينظر بأي آية أو اسم يشار إليه من عالم الغيب، فيقرأ تلك الآية، أو الاسم على طريقة مقررة عند أهل الفن. وهذا ما قصدت إيراده في هذه الرسالة، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

فيقرأ قوله: "فيقرأ" أي لمريض أو نفسه، فهذا من الرقي المسبوبة. **وظاهراً وباطناً** والفصل الخامس الذي يبحث فيه عن الحروف المقطعات خارج من الباب الرابع، كما يدور عليه هذا الاحتتام، وكذا ليس بشامل في الدرس، فلذا حذفناه من الكتاب؛ إذ ليس فيه كبير فائدة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلّى الله على النبي الكريم وآله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الحاجة إلى الترجمة الجديدة	٣	رد انتحريف	١٦
ترجمة الإمام المصنف في سطور	٥	رد سبب ادخار البشر	١٦
علم التفسير		الرد على مكري رسالة	١٧
حذره وموضوعه وعابته وفضله ومعنى التفسير بالرأي ..	٥	ذكر اليهود	١٨
مقدمة الكتاب	٧	صلواتهم	١٨
مقاصد الكتاب منحصرة في خمسة أبواب	٨	بيان انتحريف	١٨
الباب الأول		أمثلة التحريف المعنوي	١٨
في بيان العلوم الخمسة التي يدل عليها القرآن العظيم		بيان كتمان الآيات وأمثله	٢٠
بعضاً	٩	بيان الافتراء	٢١
أسلوب القرآن الكريم في عرض العلوم الخمسة	١٠	سبب التساهل وارتياب المناهي	٢١
لا يحتاج كل آية إلى سبب النزول	١٠	أسباب استبعاد رسالة سيدنا محمد ﷺ	٢٢
الفصل الأول: في عدم الجدل	١١	النوبة ومهجها في إصلاح الناس	٢٢
ذكر المشركين	١١	اختلاف الشرائع كاختلاف وصفات الطبيب	٢٢
شعائر الملة الإبراهيمية	١١	أنموذج اليهود	٢٣
شرائعها	١١	ذكر النصارى	٢٣
عقائدها	١٢	عقيدة التثليث والرد عليها	٢٣
صلال المشركين	١٢	أنموذج النصارى	٢٥
بيان الشرك	١٢	عقيدة مصبوبة المسيح والرد عليها	٢٥
بيان التشبيه	١٣	تحريفهم في بشارة "الفارقيط"	٢٦
بدل التحريف	١٤	ذكر المنافقين	٢٦
جحود الآخرة	١٤	مناق الاعتقاد ونفاق العمل	٢٦
استبعاد رسالة نبي ﷺ	١٤	مظاهر نفاق العمل	٢٦
أنموذج مشركين	١٥	الكلام حول قسمي النفاق	٢٧
ورد لإشراك	١٥	عرض من ذكر أحوال المنافقين في القرآن تعظيم	٢٨
ورد تشبيه	١٦	أنموذج منافقين	٢٨

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
القرآن كتاب كل عصر.....	٢٨	عدد الآيات المنسوخة عند المتقدمين.....	٤٠
الفصل الثاني في بقية مباحث العلوم الخمسة ..	٢٩	الآيات المنسوخة عند المتأخرين.....	٤١
بيان التذكير بآلاء الله.....	٢٩	من سورة البقرة	
ثبت باب وبيان صفات	٢٩	(١) آية الوصية لنوارث.....	٤١
صفاته تعالى توقيعية	٢٩	(٢) آية القدية لمن يعيق الصيام.....	٤١
بيان آلائه تعالى وآيات قدرته.....	٣٠	(٣) آية حل الرث ليلة الصيام.....	٤٢
بيان التذكير بأيام الله.....	٣٠	(٤) آية النهي عن القتال في الأشهر الحرم.....	٤٢
ذكر من القصص ما هو الغرض منها.....	٣١	(٥) آية الوصية للمنفوق عنها زوجها بالتنازع إلى	
القصص المتكررة في القرآن.....	٣١	الحول.....	٤٢
ما ذكرت من القصص مرة أو مرتين فقط.....	٣٢	(٦) آية المحاسبة على الباطن والظاهر.....	٤٣
بيان التذكير بالموت وما بعده ..	٣٣	من آل عمران	
بيان علم الأحكام.....	٣٤	(٧) آية الاتقاء من الله تعالى حق التقوى.....	٤٣
دور التشريع الإسلامي في إصلاح الأمة المحنعية		من النساء	
معرفة ..	٣٤	(٨) آية الإنشاء للموالي ..	٤٣
التعريضات التي تحتاج إلى بيان	٣٥	(٩) آية إتياء اليتامى والمساكين من الميراث.....	٤٤
وأمثلتها ..	٣٦	(١٠) آية حبس مركبات الفواحش.....	٤٤
هذه الآيات من التذكير بأيام الله.....	٣٦	من المائدة	
الباب الثاني		(١١) آية النهي عن إحلال الشهر الحرام.....	٤٤
في بيان وجوه إخفاء في معاني نظم القرآن بالنسبة إلى		(١٢) آية الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراس عنهم	٤٥
أهل هذا العصر، وإزالة ذلك الخفاء بأوضح بيان.....	٣٧	(١٣) آية إشهد الكفار في الغربة.....	٤٥
أسباب صعوبة فهم المراد من الكلام.....	٣٧	من الأنفال	
الفصل الأول: في شرح غريب القرآن ..	٣٨	(١٤) آية وجوب مقاتلة المسلم الواحد مع العشرة	
القدماء ربما يفسرون اللفظ بلارم معناه.....	٣٩	من الكفار.....	٤٥
الفصل الثاني: في معرفة الناسخ والمنسوخ	٣٩	من البراءة	
معنى "النسخ" عند المتقدمين ..	٤٠	(١٥) آية الأمر بالفر خفافاً وثقالاً.....	٤٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
من النور		ما يوجب الخفاء	٥٤
(١٦) آية حرمة نكاح الزاني والزانية	٤٦	بيان الحذف	٥٥
(١٧) آية أمر الاستبذان للعبيد والصبيان	٤٦	حذف حـر "إن" والجزاء والمفعول والمبتدأ	
من الأحزاب		وما شاعها مطرد	٥٧
(١٨) آية عدم حل النساء للنبي ﷺ سوى أزواجه ..	٤٧	لا حاجة إلى تفتيش العامل في كلمة "إذ"	٥٨
من المجادلة		حذف الجار من "أن" مطرد	٥٨
(١٩) آية الأمر بالصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ ..	٤٧	حذف جواب "لو" الشرطية	٥٨
من المحتجة		بيان الإبدال	٥٨
(٢٠) آية رد مهر الأزواج المؤمنات إلى الكفار	٤٧	إبدال فعل بفعل	٥٨
من المزمل		إبدال اسم باسم	٥٩
(٢١) آية الأمر بقيام الليل	٤٨	إبدال حرف بحرف	٦١
الفصل الثالث: في معرفة أسباب النزول	٤٨	إبدال جملة بجملة	٦١
معنى "نزلت في كذا" عند المتقدمين	٤٨	إبدال التكثير بالتعريف	٦٢
روايات المحدثين التي لا علاقة لها بأسباب النزول	٤٩	إبدال التذكير والتأنيث والإفراد بأضدادها	٦٢
شرط المفسر في باب أسباب النزول	٤٩	إبدال التثنية بالمفرد	٦٣
قصص الأنبياء من روايات أهل الكتاب	٥٠	إبدال الشرط والجزاء وجواب القسم بجملة مستقلة	٦٣
معنى آخر لقولهم: "نزلت في كذا"	٥٠	إبدال الخطاب بالغيبة	٦٤
صورة قصة ولا قصة لها	٥٠	إبدال الإخبار بالإنشاء وبالعكس	٦٤
قد يفرضون السؤال والجواب في التفسير	٥١	التقدم والتأخير والتعلق بالبعد وما شابههما	٦٤
قد يريدون التقدم والتأخير الزمني، لا الزماني	٥٢	الزيادة في الكلام	٦٥
شرط المفسر أمران	٥٢	الزيادة بالصفة	٦٥
من التوجيه وأمثله	٥٢	الزيادة بالإبدال	٦٥
يذكر أسباب النزول وتوجيه المشكل في "فتح الخبير"		الزيادة بالعطف التفسيري	٦٦
لفائدتين	٥٤	الزيادة بالتكرار	٦٦
إفراط ابن إسحاق والواقدي والكلبي	٥٤	زيادة حرف الجر	٦٧
الفصل الرابع في بقية مباحث هذا الباب	٥٤	واو الاتصال	٦٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
قاء الاتصال.....	٦٧	تخلل الكلام البليغ في أثناء السور.....	٧٥
انتشار الضمائر وإرادة المعنيين من كلمة واحدة.....	٦٨	الفصل الثاني: في تقسيم السور إلى الآيات وأسلوبها الفريد	٧٦
بجيء لفظ جعل وشيء لمعان شق.....	٦٨	الفرق بين الآيات والآيات.....	٧٦
معنى الأمر والنأ والمحطوب.....	٦٩	الأمر المشترك بين الآيات والآيات.....	٧٧
معنى الحظر والشر.....	٦٩	التوافق التقريبي هو الأمر المشترك بين مختلف	
انتشار الآيات.....	٦٩	الكلام المنظوم.....	٧٧
قد تكون الآية متقدمة في النزول، متأخرة في		مراعاة القرآن الكريم للحسن الإجمالي المشترك.....	٧٩
التلاوة.....	٦٩	الامتداد النفسي الطبيعي هو الوزن في القرآن.....	٨٠
قد يدرج الجواب في تضاعيف أقوال الكفار.....	٦٩	حاملة النفس على المدّة هي القافية في القرآن.....	٨١
الفصل الخامس: في بيان أحكامه والمتشابه والكتابة		لحوق الألف في آخر الكلمة أيضاً قافية.....	٨١
والتعريض والمجاز العقلي.....	٦٩	توافق الآيات على حرف واحد وإعادة الجملة مفيد	
المحكم.....	٦٩	لذّة.....	٨١
المتشابه.....	٧٠	اختلاف فواصل آخر السورة من أوائلها.....	٨١
الكتابة.....	٧٠	منهج القرآن في الفواصل.....	٨٢
تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة.....	٧٠	السر في الآية الطويلة مع الآيات القصيرة وبالعكس..	٨٢
التعريض.....	٧١	الآية ذات القوائم الثلاث.....	٨٢
المجاز العقلي.....	٧٢	الآية ذات الفاصلتين.....	٨٣
الباب الثالث		أطول آية مع الآيات القصار.....	٨٣
في بيان لطائف نظم القرآن وشرح أسلوبه البديع...	٧٣	لم يُراع ذلك الوزن والقافية في بعض السور.....	٨٣
الفصل الأول: في ترتيب القرآن الكريم، وأسلوب		وجه اختيار الأوزان والقوافي الجديدة.....	٨٤
السور فيه.....	٧٣	الفصل الثالث: في وجه التكرار في العلوم الخمسة،	
تقسيم السور.....	٧٣	وعدم الترتيب في بيائها.....	٨٥
القرآن في عهد عثمان ؓ.....	٧٤	الفصل الرابع: في وجوه إعجاز القرآن الكريم.....	
استهلال السور واختتامها على أسلوب الفرامين...	٧٤	الباب الرابع	
منهج القصائد في مبتدأ بعض السور.....	٧٥	في بيان مناهج التفسير، وتوضيح الاختلاف الواقع في	
خواتم السور على منهج الفرامين.....	٧٥	تفاسير الصحابة والتابعين.....	٨٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
طوائف المفسرين	٨٩	الفصل الثاني: في بقية لطائف هذا الباب	٩٧
جوامع التفاسير	٩٠	الكلام حول استنباط الأحكام	٩٧
ما من الله به عليّ في علم التفسير	٩٠	التوجيه في تفسير القرآن الكريم	٩٧
تفسير كون المصنف أوسياً	٩٠	أنواع التوجيه	٩٨
تفسير الكعبة الحسنة والصلاة العظمى	٩٠	علو المتكلمين	٩٩
الفصل الأول: في بيان الآثار المروية في تفاسير		الجدال في القرآن	٩٩
أصحاب الحديث وما يتعلق بها	٩١	لغة القرآن	٩٩
قسمان من أسباب النزول	٩١	نحو القرآن	١٠٠
معنى قولهم: "نزلت الآية في كذا"	٩١	علم المعاني والبيان	١٠٠
أمور في التفسير لا طائل تحتها	٩٢	إشارات الصوفية	١٠٠
القدماء ربما يفسرون على سبيل الاحتمال	٩٢	فن الاعتبار	١٠١
النقل عن بني إسرائيل دسيسة دخلت في ديننا	٩٣	الفصل الثالث: في بيان غرائب القرآن الكريم	١٠١
تفسير القرآن بالقرآن	٩٤	ظهر القرآن وبطنه	١٠٣
وجه اختلاف السلف في شرح غريب القرآن،		مطلع الظهر والبطن	١٠٣
وكيف يخرج المفسر من العهدة في ذلك	٩٤	الفصل الرابع: في بيان بعض العلوم الوهمية	١٠٣
استنباطات العبد الضعيف في شرح الغريب	٩٥	(١) تأويل قصص الأنبياء	١٠٣
اختلاف المتقدمين والمتأخرين في معنى "النسخ" مما		(٢) تنقيح العلوم الخمسة	١٠٤
أوجب الاختلاف في عدد الآيات المنسوخة	٩٦	(٣) ترجمة القرآن الكريم بالفارسية	١٠٤
ربما يجعل الإجماع علامة للنسخ	٩٦	(٤) علم خواص القرآن الكريم	١٠٤
أمور أخر يذكرونها في التفاسير	٩٧		

المطبوعة ملونة مجلدة

الموطأ للإمام محمد (مجلدين)	الصحيح لمسلم (٧ مجلدات)
الموطأ للإمام مالك (٣ مجلدات)	الهداية (٨ مجلدات)
مشكاة المصابيح (٥ مجلدات)	التيان في علوم القرآن
تفسير البياض	شرح العقائد
تيسير مصطلح الحديث	تفسير الجلالين (٣ مجلدات)
المسند للإمام الأعظم	مختصر المعاني (مجلدين)
الحسامي	الهداية السعيدية
نور الأنوار (مجلدين)	القطبي
كلل الدقائق (٣ مجلدات)	أصول الشاشي
نفحة العرب	شرح التهذيب
مختصر القدوري	تعريب علم الصيغة
نور الإيضاح	البلاغة الواضحة
ديوان الحماسة	ديوان المتنبي
النحو الواضح (إبدائيه، ثانويه)	المقامات الحبرية
	آثار السنن

ملونة كرتون مقوي

السراجي	شرح عقود رسم المفتي
الفوز الكبير	من العقيدة الطحاوية
تلخيص المفتاح	المرفقة
دروس البلاغة	زاد الطالبين
الكافية	عوامل النحو
تعليم المتعلم	هداية النحو
مبادئ الأصول	إيساغوجي
مبادئ الفلسفة	شرح مائة عامل
هداية الحكمت	متن الكافي مع مختصر الشافعي
شرح نعمة الفكر	هداية النحو مع العلام والمعارين
	المعلقات السبع

ستطيع قريباً بعون الله تعالى

ملونة مجلدة / كرتون مقوي

الجامع للترمذي	الصحيح للبخاري
كامل قرآن مجيد ١٥ أسطرى	شرح الجامعي
	بيان القرآن (كامل)

Books in English

Tafsir-e-Uthmani (Vol. 1, 2, 3)	Lisaan-ul-Quran (Vol. 1, 2, 3)
Key Lisaan-ul-Quran (Vol. 1, 2, 3)	Al-Hizbul Azam (Large) (H. Binding)
Al-Hizbul Azam (Small) C Cover)	

Other Languages

Riyad Us Saliheen (Spanish) (H. Binding)	Fazail-e-Aamal (German)
Muntakhab Ahdees (German) (H. Binding)	

To be published Shortly Insha Allah

Al-Hizbul Azam (French) (Coloured)

طبع شده رنگین مجلد

حسن حسين	تفسير عثمانی (٣ جلد)
تعليم الاسلام (كامل)	خطبات الاحكام لجمعية العام
خصائص نبوي شرح شامل ترمذي	الحزب الاعظم (سینکى ترتيب پر)
بہشتی زیور (تین حصے)	الحزب الاعظم (پنکى ترتيب پر)
بہشتی زیور (كامل)	لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
معلم الحجاج	فضائل حج

رنگین کارڈ کور

آداب المعاشرة	حيات المسلمين
زاد السعيد	تعليم الدين
روضة الادب	جزاء الاعمال
فضائل حج	الحجامة (پچھتاگانا) (جدید ایڈیشن)
معین الفلسفہ	الحزب الاعظم (سینکى ترتيب پر) (جیبی)
خير الاصول في حديث الرسول	الحزب الاعظم (پنکى ترتيب پر) (جیبی)
معین الاصول	مفتاح لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
تيسير المنطق	عربی زبان کا آسان قاعدہ
قواعد مکيه	فارسی زبان کا آسان قاعدہ
بہشتی گوهر	تاریخ اسلام
علم النحو	علم الصرف (اولین، آخرین)
جمال القرآن	عربی صفوة المصادر
تسہیل المبتدی	جوامع النظم مع چہل ادعیہ مستونہ
تعليم العقائد	عربی کا معلم (اول، دوم، سوم، چہارم)
سير الصحايات	نام حق
پندنامہ	گریما
صرف میر	آسان اصول فقہ
نومیر	تیسیر الابواب
میزان و مشعب	فصول اکبری
پنج سورۃ	نماز بدل
سورۃ یس	علم پارہ
آسان نماز	علم پارہ دوی
منزل	نورانی قاعدہ (چھوٹا / بڑا)
	تیسیر المبتدی

کارڈ کور / مجلد

فتیحت احادیث	اکرام مسلم
فضائل اعمال	مفتاح لسان القرآن (اول، دوم، سوم)